وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(1)

حول منهج التعامل مع التراث

المقدّمة

الحمدُ لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين محمّد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين .

ممّا تمتاز به الأُمّة الاسلامية أ نّها أُمّة ذات ماض حضاري تليد . أغنت الفكر الانساني بالعلوم والفنون والآداب ، واختطّت مناهج البحث العلمي التي فتحت أمام العقل الانساني أبواب العلم والمعرفة ، فملأ تراثهم آفاق الدنيا ، وسلك قاعدة وأساساً لبناء المدنيّة البشريّة المعاصرة والنهضة العلمية التي بدأت منذ قرنين تقريباً .

والتراث الاسلامي بما هو من فكر عقيدي وفلسفي وآداب وفنون ودراسات وأفكار ونظريّات في شتّى آفاق العلوم والمعارف الأُخرى ، كالتاريخ والتفسير والحديث والاجتماع وغيرها،قد أُسِّس على قواعد علمية ومنهجية منظّمة،تجلّت فيها عبقريّة الفكر الاسلامي ونهجه العلمي.غير أنّ هذا التراث لم يسلم من الأخطاء والتحريف والتزوير والارهاب الفكري .

وإذا كانت بين يدينا تلك الثروة الشامخة من التراث الفكري المختلط بما ينبغي تنقيحه منه ، فإنّنا ورثنا أيضاً عادات وتقاليد وأعراف هي الأُخرى يصدق عليها ما يصدق على التراث الفكري .

وللتعامل مع هذا الموروث الفكري والاجتماعي ، ظهرت مناهج وطرائق متعدِّدة في الماضي ، فأصبحت بدورها جزءاً من التراث ، كما نواجه اليوم محاولات عديدة لتحديد مناهج وطرائق التعامل مع التراث ، ينادي بعضها بعزل حاضر الأُمّة عن ماضيها وتراثها الذي نبع من عقيدتها ومبادئها ، فكان جزءاً من شخصيّتها ، في حين ينادي بعضها الآخر بالتمسّك غير الواعي وغير المنقّح بكل موروث تسلّمه الجيل المعاصر ، وإسباغ الصفة الشرعية عليه .

والصّواب في التعامل مع التراث هو خضوعه لعملية التنقيح المتلزم بالمقاييس التي ثبّتها القرآن ، وجاءت بها السنّة الثابتة ، ويشهد العقل العلمي بسلامتها . كما أنّ بعض ما في التراث هو صواب بحدِّ ذاته ، ولكنّه ليس منتهى ما يحمل الأصل الاسلامي من فكر ودلالة وتشريع، لذا فانّ جهود العلماء والمفكِّرين المعاصرين يجب أن تنطلق بالاجتهاد العلمي المتعامل مع الأُصول الاسلامية : (الكتاب والسنّة وما أنتج العلماء الاسلاميون) . ليمنح الفكر الاسلامي والجيل المعاصر ما يغني حياته الفكريّة والتشريعية المعاصرة .

ولأهميّتة هذا الموضوع وكثرة ما كُتِبَ حوله في المرحلة الراهنة ، إرتأت **«مؤسّسة البلاغ»** أن تساهم في تكوين رؤية ثقافيّة لقرّائها في هذا الموضوع، لذا قمنا بإصدار هذا الكتاب تحت اسم : **«حول منهج التعامل مع التراث»** . والله نرجو أن ينفع به المسلمين ، وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين .

مؤسّسة البلاغ

(2)

التّراث في اللّغة :

عرّف اللّغويون كلمة تراث بقولهم :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

«الوراثة والإرث انتقال قنية إليك عن غيرك من غير عقد ، ولا ما يجري مجرى العقد ، وسُمِّي بذلك المنتقل عن الميّت فيُقال للقنية الموروثة ميراث ، وإرث وتراث أصله وراث ، فقُلِبَت الواو ألف وتاء قال : وتأكلون التّراث أكلا لمّاً .

وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ : إثبتوا على مشاعركم فانّكم على إرث أبيكم . أي أصله وبقيته ... وقال لكلّ من حصل له شيء من غير تعب قد ورث كذا»[1] .

التّراث الثقافي :

جاء في الحديث النبويّ الشريف : **«العُلماء ورثة الأنبياء»**[2].

وواضح أن الوراثة هنا تعني وراثة العلم والمعرفة، فيكون العلم والمعرفة بهذا الحديث هما الميراث والتراث،واستعمل الكتّابوالمفكِّرون المعاصرون كلمة التراث بمعنى التراث الفكري والثقافي الذي ورثته أجيالنا المعاصرة عن أسلافها المتقدِّمة .

والإستقراء التأمّلي في ما ورثت الأجيال المعاصرة عن الأجيال الماضية يدلّنا على أن جيلنا ورث :

1 ـ الميراث الفكري والثقافي بما حوى من علوم ومعارف ومناهج للبحث العلمي ، وفكر إسلامي ، وأدب وفن وتأريخ وعلوم أُخرى .

2 ـ أعراف وتقاليد شعبية وإسلامية .

3 ـ طريقة تفكير، وتَشكُّل عاطفي ونفسي .

وكلّ هذا الميراث يحتاج إلى دراسة ، ومراجعة على أُسس علمية وشرعية سليمة .

قراءة في تأريخ الفكر الإسلامي

تعريف :

الوجود وما فيه من عوالم المادة والطبيعة والفكر والمجتمع في حركة دائمة متواصلة ، والحركة هي عملية تكامل، وبناء في هذه الموجودات، الطبيعية المادية ، والإنسانية الإجتماعية .

والحركة تجري على الموجود غير الإرادي ، بصورة إضطرارية ولا إرادية ، كما تجري في عالم الإنسان باتجاهين : إختياري واضطراري. والحركة ، كما يقول الفلاسفة ، هي في حقيقتها خروج الشيء من القوة إلى الفعل، ومن الإمكان إلى التحقّق.

وفي عملية الحركة تفاعل وتماس وترابط متواصل بين الأشياء، فلا شيء في هذا العالم منفصل عن الموجودات الأخرى ، من عالم الذرّة والكواكب والمجرّات ، إلى عالم الإنسان

والنبات والحيوان . والمسيرة التكاملية في هذه الموجودات تسير باتجاه موحّد ومتناسق .

وفي مسار التكامل والتصاعد، يحدث السقوط والتساقط والفناء ، كما تحدث الولادة والتكوّن والحدوث والإرتقاء .

---

(1) الراغب الاصفهاني / معجم مفردات القرآن .

(2) الكليني / الكافي / ج 1 / ص 32 / باب ثواب العالِم والمتعلِّم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي عالم الإنسان الإجتماعي، تتجلّى حركة السير والتكامل، والسقوط والنموّ والتغيير والتبدّل بشكل متواصل، كما تحدث في خلايا الجسم البشري وأجهزته ، وتركيب الإنسان الفكري والنفسي . فعالم الفكر والمجتمع والحضارة حركة دؤوبة، تتحرّك باتجاه الصعود والتكامل تارة ، كما تصاب بالإنتكاسة والإرتداد تارة أخرى.

ويهمّنا في هذا الموضوع أن نتحدّث بايجاز عن الحدوث والتغيّر، والتحوّل الفكري والحضاري في المجتمع، وعلاقة ذلك بالرسالة والتراث والمبادئ والإنسان المعاصر. فكثيراً ماتتردّد قضية (المعاصرة والتجديد) و (العقل المسلم) و (أزمة العقل المسلم) و (إعادة تكوين العقل المسلم) و (الموقف من التراث) ، وغير ذلك من العناوين والمصطلحات التي تدور حول موضوعات متشابهة .

ولكي نعطي صورة واضحة عن هذا الموضوع ، لابدّ من أن نشير إلى أن مسألة الصراع بين الإسلام والفكر الإسلامي وبين خصومه ، مسألة قديمة ضاربة في القِدَم ، فقد بدأ الصراع مع الفكر الوثني المتخلِّف من بدء الدعوة، وبدأت الإثارات الوثنية بسذاجتها ، وتخلّف وعيها للطبيعة والفكر والمجتمع، ثم اتخذ الصراع الفكري درجة أعقد من الإثارات والشبهات ، كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى يطلقونها، ولم تستطع تلك الشبهات أن تقف بوجه الردّ العلمي والمعقول الإسلامي ، فخرج هذا العملاق من تلك المواجهة بنجاح خالد ، ثم بدأت معركة الصراع الفكري تأخذ أبعاداً من التخطيط والكيد والمواجهة ، طوّرت القوى المعادية فيها ، وسائلها وأساليبها ، وكانت على درجة خطيرة من النتائج والآثار .

فبعد أن استعصت الحصون الإسلامية على الاختراق من خارجها، انتقلت تلك القوى وفي مقدّمتها اليهود ، لإختراق البُنية الفكرية ، والعمل على هدم البناء الإسلامي من داخله، فتبنّوا دسّ الأحاديث والروايات ، وتدريب الوضّاعين والقصّاصين على افتعال القصص ، ووضع الروايات المكذوبة ، واستغلال ظروف الصراع السياسي في المجتمع الإسلامي ، من يوم السقيفة الأوّل، ومن انقسام المسلمين إلى دولتين، دولة معاوية الباغية في الشام ، ودولة الخلافة الشرعية التي قادها الإمام عليّ (عليه السلام) في الكوفة .

وتواصل ذلك الصراع على مدى المسار التأريخي ، فملأ البيئة الإسلامية بالإرباك والتشويه، وتسلّلت تلك الروايات الموضوعة إلى بُنية الفكر الإسلامي ، وفي مقدّمتها الإسرائيليات التي دخلت التفسير في مجال القصص والتأريخ والعقيدة ، بل والطبيعة، فكانت من أكثر المدسوسات تشويهاً وتحريفاً ، ثم تطوّرت وسائل المقاومة والصِّراع ، فبدأ أُولئك المخرِّبون ينقلون إفرازات الفكر اليهودي والمسيحي إلى العقل الإسلامي.

فبدأ هذا الفكر المنحرف يغزو حلقات الدرس على شكل آراء فلسفية منظّرة ، وأخذ يدخل كحوارات وإثارات في المساجد ، وبين طلبة العلوم الإسلامية ، فأُثيرت نظرية الجبر والقدر وأفكار المرجئة ، والإسرائيليات المحرّفة .

وهكذا تسلّل الفكر اليهودي والمسيحي المحرّفين، إلى ساحة الفكر الإسلامي، عن طريق

(4)

دسّ الروايات والأحاديث، وعن طريق التفسير، والتفلسف العقيدي. ظهر ذلك بشكل أكثر وضوحاً في أواخر النصف الأوّل من القرن الأوّل الهجري، ثم اتّسع ، واتّخذ أبعاداً خطرة في النصف الثاني منه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهكذا وجد المسلمون حالة الإرباك والتشويه في (النصّ الإسلامي)، أي في السنّة النبويّة، بما دُسَّ فيها وَوُضِع من حديث ورواية .

كما وجدوا هذا الارباك والتحريف في تفسير القرآن ، وفهم نصوصه، بسبب تلك المدسوسات والمحاولات، ثمّ واجهوا ذلك التحريف والتخريب في مجال الفكر العقيدي على شكل نظريات متفلسفة ، كنظرية الجبر والقدر، على يد غيلان الدمشقي، ومعبد الجهني، وأمثالهم.

ولم يقف العقل الإسلامي متفرّجاً أمام تلك المحاولات الهدّامة، بل تصدّى أئمة المسلمين وعلماؤهم، وفي مقدّمتهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، للرد على تلك الشبهات ، وتنقية النصّ الإسلامي ممّا دسّ فيه ، كما تكثّفت الجهود لتنقية ما تسلل إلى التفسير والفهم من خرافة وغريب مدسوس ، وما أُثير من شبهات ، واستُحدث من نظريات عقيدية ، كنظريتي الجبر والقدر[3]، النظريتين المتضادتين في اتجاههما وأفكارهما المفسِّرة لسلوك الإنسان، وعلاقته بإرادة الإنسان والمشيئة الإلهية .

وتطوّرت مناهج ونظريات علماء الإسلام، في الردِّ على تلك المحاولات والشّبهات ، فاتخذت صيغاً علمية منظّرة، وفي تلك الفترة برز تيار الاعتزال الذي بالغ في استخدام العقل مقابل النصّ ، كما برز تيار أهل الظاهر والتوقّف السّلفي، مقابل العقلانية، والتعامل العقلي مع المضمون والمحتوى . وفي خضم تلك التيارات ظهر التيار الباطني ، كنظرية لفهم الإسلام ، فهماً باطنياً مشوّهاً ومحرّفاً .

ثم جاء عصر الترجمة والفلسفة ، وتوسعت الفتوحات ، ووفدت النظريات والأفكار الفلسفية ، فحمل الداخلون إلى الإسلام من أصحاب الفكر والنظريات ، ما آمنوا به في جاهليتهم من تلك الأفكار والآراء في مجال العقيدة والسلوك ، فوجدت تلك الأفكار طريقها لإختراق الفكر الإسلامي ، ونشأ تيار الفلسفة والتصوّف المتأثر بتلك الأفكار والنظريات ، ونشأت فلسفات ونظريات للتصوّف نُظِّر لها كجزء من الفكر والثقافة الإسلامية .

وهكذا مرّ الصراع الفكري ، وعمليات الإختراق الثقافي بمراحل ، ولم تمرّ هذه الهجمة والمحاولات ، دون ردّ ومواجهة من العلماء والمفكرين الإسلاميين. وكان الردّ علمياً ومنظّراً ، فتصدّى العلماء لتفسير القرآن ، وبيان محتواه ، وتثبيت الضوابط والقواعد العلمية للتفسير والتأويل ، فنما علم التفسير والتأويل ، ثم علوم القرآن الأُخرى لحماية النصّ القرآني من العبث والتلاعب، ولاكتشاف محتواه، واستنباط معانيه، وتنظيم عمليات التعامل مع القرآن ، قراءةً ، وتفسيراً ، وتأويلا، واستنباطاً . وردّ العلماء على عملية الدس في الروايات

(5)

والأحاديث والسيرة النبوية ، بتأسيس علم الحديث والرجال الذي قام بدراسة شخصيات الرّواة وغربلة الرّواية ، ووضعت الأُسس والقواعد العلمية لقبول الرّواية والتعامل معها. ورغم أن هذا العلم قد مارس دوره بشكل فعّال في غربلة الرّواية ، وتثبيت الصحيح، إلاّ أنّ تعدُّد مدارسه ومذاهبه ، قد حال دون أداء مهمّته بدرجة عالية من النجاح .

وردّ علماء الإسلام بتأسيس علم الكلام، على محاولات التحريف العقيدي، لحماية العقيدة والفكر العقيدي، بأُسلوب الفلسفة والمنطق ، والاستدلال العقلي المبرمج ، وكانت لعلماء الكلام جولات وآراء

---

(3) نظرية الجبر هي النظرية القائلة بأن الإنسان ليس فاعلا حقيقياً لأفعاله، بل الفاعل لها هو الله والإنسان عبارة عن محل تجري عليه أفعال الله.

أمّا نظرية القدر فهي النظرية القائلة بأن الإنسان هو علّة أفعاله، ولا قدرة لله على منعه عن فعل شيء.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ونظريات متعدِّدة . وهذا العلم كغيره من العلوم الإنسانية، كان قد تأثّر بآراء واتجاهات متعدِّدة كثيرة، كما تأثّر بمنهج الفهم والمسلّمات القَبْلية للعلماء والمفكرين الإسلاميين.

وللتعامل مع النصّ، واكتشاف المعنى والدلالة فيه ، أسّس علماء الإسلام علم أُصول الفقه ، لضبط العقل الإسلامي ، حين يتعامل مع النصّ الإلهي والسنّة المطهرّة الحاكية عنه .

وعلم أُصول الفقه هو المنهج العلمي للاستنباط الفقهي، أو هو منطق الفقه، كما يقول العلماء، ومنهج التفكير الفقهي الذي يحفظ عمليّة الاستنباط من الخطأ والفوضى والإرتباك والذاتية .

وكما كان لعلماء الإسلام تلك الجهود العلمية العملاقة في حفظ العقيدة والتشريع والسنّة والسيرة، كانت لهم جهود علمية خالدة في مجال (علم السلوك) أو (علم الأخلاق) لدراسة السلوك البشري، وتحليله تحليلا علمياً ، ومعالجة الجانب العملي من حياة الإنسان، على ضوء الفكر والأهداف الإسلامية.

ومن خلال الترجمة والنقل من اللاّتينية والهندية والصينية والفارسية،
عرف علماء الإسلام الفلسفة، وشكّل دخول الفلسفة إلى الفكر الإسلامي، حدثاً فكرياً هائلا ، جُوبِهَ بردود فعل متفاوتة .

وقد حملت تلك الفلسفة آراء ونظريات متعارضة مع الفكر الإسلامي، لا سيّما في مجال العقيدة، كما رفدت الفكر الإسلامي بمنهج ورؤية فكرية جديدة، إمتازت بالاستدلال، والبرهان العلمي المنظّم.

ولقد استُقْبِلَ الفكر الفلسفي، بعد ترجمته في عهد المأمون، كما تشير دراسات تأريخ الفلسفة الإسلامية، استُقْبِلَ الفكر الفلسفي في عهد نضج الفكر الإسلامي ، وتبلور النظريات الكلامية والتفسيرية والفقهية والأُصولية، أي في الحقبة التي دخل فيها الفكر الإسلامي مرحلة التنظير والمنهجية المنظّمة ، فحين تناول الفكر الإسلامي ، الفلسفة اليونانية وفلسفة الأمم الأخرى الهندية والصينية والفارسية ، كان في مرحلة تبلور الشخصية المنهجية، وتنظير الفكر، والتعامل مع القضايا الفكرية تعاملا علمياً ممنهجاً ومنظّماً.

وتفيد الدراسات التأريخية للفكر الإسلامي ، أن ردود الفعل في أوساط الإسلاميين تجاه الفلسفة والموقف منها ، انقسمت إلى عدّة مواقف ، هي :

1 ـ رفض الفلسفة وعلم المنطق ، واعتبارهما من وسائل الإنحراف الفكري.

(6)

2 ـ التأ ثّر والقبول غير الملتزم ، وقد كان لهذا التيار خطره ، إذ حاول هؤلاء المتأثرون بموجة التيار الفلسفي ، العمل على تطويع الفكر الإسلامي للنظريات الفلسفية ، واعتبار الآراء الفلسفية أساساً مسلّماً بها، ثمّ حاولوا تمرير تلك الآراء بأدلّة وأساليب توهم بأنها إسلامية ، وهي ليست كذلك .

3 ـ الموقف النقدي : وتضمّن هذا العمل العلمي ، مناقشة الفلسفة ، وآراء الفلاسفة ، والرد عليهم ، كما فعل المتكلِّمون عند تناولهم للموضوعات المشتركة في البحث، كموضوع الإلهيات والمعرفة وغيرها من المباحث المشتركة.

4 ـ تأسيس الفلسفة الإسلامية : بلغ الموقف العلمي، من قبل علماء الإسلام وفلاسفتهم الملتزمين ذروته في التعامل مع الفلسفة الوافدة بتأسيس الفلسفة الإسلامية ، بعد أن اطّلعوا على الفلسفة اليونانية ، ودرسوا مباحثها وموضوعاتها ، ووجدوها تتألّف من أربعة عناصر أساسية هي :

1 ـ موضوع الفلسفة ومباحثها .
2 ـ مادتها الفكرية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

3 - منهج البحث والتفكير الفلسفي .

4 - المصطلح الفلسفي .

وعلى أُسس هذا التحليل العلمي قاموا ببناء نظرياتهم الفلسفية، فبحثوا الموضوعات، والمباحث الفلسفية ذاتها، بمنهج تفكير اسلامي، وبمادة فكرية اسلامية استفيدت من الكتاب والسنّة، ومسلّمات العقل المسلم، مستخدمين المصطلح الفلسفي المحايد تارة، كالقِدَم، والحدوث، والمصطلح الإسلامي الأصيل تارة أُخرى، وفي الموارد التي يكون للمصطلح دلالته الخاصّة، متّبعين الطريقة الفلسفية في البحث والاستنتاج والتنظير. فشادوا فلسفة اسلامية، ونبغ منهم فلاسفة عظام، ملأوا الدنيا بآثارهم الفلسفية، وأغنوا الفكر الفلسفي.

ولم يكن هؤلاء مقلِّدين ، ولا فاقدي الهويّة الحضاريّة ، بل انطلقوا من مبادئ ومسلّمات إسلامية ، وساروا في بحوثهم وفق منهج تفكير اسلامي ، فتوصّلوا إلى نتائج فلسفية وفكرية اسلامية ، وبذا عزّزوا البناء الحضاري، وأضافوا جهداً علمياً جديداً لتنمية الفكر الإسلامي، وتحصينه في آن واحد ، وتعريض الوافد الفكري الجديد للمُساءلة والنقد ، والعمل على كشف ضعفه وتخلّفه .

ومع هذا الانفتاح الفكري، والإلتزام بالأصالة، والحفاظ على الهويّة الإسلامية، إنطلق الفكر الفلسفي بمادّة إسلامية على شكل نظريات ، وآراء فلسفية متعدِّدة ، فأعطت تلك الجدلية الفلسفية ، والانفتاح العلمي ، والحوار النقدي المتواصل زخماً ، وتنمية جديدة للفكر الفلسفي الإسلامي.

ومع ذلك كلّه فلا يعني أن هذا الاتجاه الفلسفي قد صار فكراً مصوناً من النقد والخطأ،لذا تصدّى المتكلِّمون لدراسة آراء الفلاسفة الإسلاميين المتعلِّقة بمباحث العقيدة،كمبحث الروح،والمعراج،والبعث،والجزاء،وصفات الذات الإلهية،ومسائل القِدَم والحدوث وغيرها،وردّوا كثيراً من آرائهم،فأنتج هذا الحوار خصوبة فكرية جديدة،وأحدث تفاعلات حضارية ، كتثبيت الأصالة وعقلنة المعرفة ، وتأصيل النزعة العلمية في البحث.

(7)

تعريف العقل المسلم

في مسألة التراث ينبغي أن ندرس بشكل أساس العقل المسلم .

ماذا نعني بالعقل المسلم ؟

ما هي عناصر تَشكُّله ؟

كيف تشكّل العقل المسلم؟.. أو بعبارة أخرى ما هي أُسسه البنائية، وما هي آليّة عمله ، وما هي عطاءات هذا العقل ؟

وما هو الموقف منها عِبْرَ حركة التأريخ وتطوّر الحياة ؟

وهل هو تشكيلة قد توقّفت عن التطوّر والإبداع والعطاء ، تحتاج إلى إعادة تشكيل ، أو أن عطاءه يحتاج إلى مراجعة ونقد وتقويم ؟ أو أن مصيره الالغاء والبحث عن بديل ؟

إنّ كلّ تلك المسائل، وغيرها من القضايا، قد تعرّض لها مفكِّرون معاصرون ; أمثال محمّد عابد الجابري، ومحمّد أركون، وحامد أبو زيد، وحسن حنفي ، و د. عماد الدين خليل ، و د. عبد الحميد أحمد سليمان ، و د . عبدالرحمن الطريري ، وغيرهم كثير ممّن كتب وبحث تحت عناوين شتّى ، وفي موضوعات متعدِّدة ، وخرج بنتائج متفاوتة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبحثوها تحت عناوين (تشكيل العقل العربي) و (تشكيل العقل المسلم) و (أزمة العقل المسلم) ، وغيرها من العناوين والمصطلحات .

وقبل الحديث عن (العقل المسلم) يجدر بنا أن نُعرِّف العقل أوّلا ، ثم نوضِّح مصطلحي (العقل المسلم) و (العقل العربي) لنوفِّر للقارئ رؤية تمهيدية تمكنه من الفهم والوضوح.

عرّف الراغب الاصفهاني العقل بقوله: «العقل يقال للقوة المتهيّئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ...

وعرّف العلم بقوله : العلم : إدراك الشيء بحقيقته ; وذلك ضربان ، أحدهما : إدراك ذات الشيء ، والثاني : الحكم على شيء بوجود شيء هو موجود له ، أو نفي شيء هو منفي عنه»[4].

وجاء في دائرة معارف القرن العشرين: «العقل هو القوة المدركة في الإنسان، وهو مظهر من مظاهر الروح ، محلّه المخ ...»[5].

ونقل عن الماوردي قوله: «وقال آخرون، وهو القول الصحيح، أن العقل هو العلم بالمدركات الضرورية، وذلك نوعان: أحدهما ما وقع عن درك الحواس، والثاني ما كان مبتدئاً في النوع»[6].

ونُقل عنه أيضاً : «وقال آخرون ، العقل هو المدرك للأشياء على ما هي عليه من حقائق المعنى»[7].

وهكذا يتّضح لنا أن كلمة العقل تطلق على معنيين عند علماء الإسلام، وهما :

(8)

1 ـ القوّة المدركة المتهيئة لقبول العلم، وهي القوّة المميّزة للنوع الإنساني عن سائر الحيوانات ، واعتبره علماء الإسلام الفصل في تعريف الإنسان .

اذ تقبلوا التعريف المنطقي للإنسان بأنه : (حيوان ناطق)، ذلك لأن الناطقية ترتبط بالقدرة على التفكير، وتلقّي المعرفة .

2 ـ يُطلِق علماء الإسلام مصطلح العقل على مجموع العلوم والمعارف التي يستفيدها الإنسان عن طريق الادراك العقلي، منطلقين من إطلاق اسم السبب على المسبب ; ذلك لأن العقل هو علّة تحصيل العلم، وبذا ساووا بين مصطلح العقل والعلم في هذا المجال، كما في تعريف الراغب الاصفهاني، وكما في التعريف الذي اختاره الماوردي .

ويتضح لنا مصطلح العقل، المستعمل بمعنى العلم المستفاد، من قبولهم تقسيم العقل إلى :

1 ـ العقل النظري (العلوم النظرية) .

2 ـ العقل العملي (العلوم العملية) .

ومن تقسيمهم العقل إلى : 1 ـ العقل المطبوع . 2 ـ العقل المكتسب .

وهو ما يختاره الماوردي في التعريف الآنف الذكر ، بأنّ العقل نوعان :

1 ـ العلم المستفاد من الحواس ضرورة.

---

(4) معجم مفردات ألفاظ القرآن.

(5) ، (7) ، (6) محمد فريد وجدي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

2 ـ العلم الغريزي المركوز في أعماق الإنسان بشكل فطري، كمعرفة الإنسان للضحك، والرضاع، والبكاء .

وهكذا يتّضح لنا أن مصطلح (العقل المسلم) في أحد معنييه ، يعني العلوم والمعارف التي أنتجها العقل بمنهج تفكير إسلامي ، ووفق مسلّمات إسلامية.

وهذا التعريف يفصل بين العقل ، كقوّة مدركة ، وبين العقل بالمعنى الآخر، فالعقل بالمعنى الأوّل، هو عام ومشترك بين أبناء النوع البشري جميعاً ، فليس هناك عقل عربي ، أو عقل إسلامي ، أو عقل يوناني ، أو عقل أوروبي ; بل هو عقل واحد (هو العقل الطبيعي) ، وتتّضح قوانينه في علم المنطق، علم القوانين العامّة للتفكير .

وأن التمييز بين العقول، الذي يلزمنا بتسمية العقل بأنه (عقل مسلم) أو (عقل أوروبي) أو (عقل يوناني) ، هو اطلاق العقل بمعنى العلم المستفاد وفق منهج تفكير ، ومسلمات مختصة بعقل دون آخر، فتمنحه الوصف والتسمية المميّزة ; وبذا يتّضح أن مصطلح العقل المسلم بهذا المعنى ، يساوق مصطلح الفكر الإسلامي ، والتدقيق العلمي ، ودواعي التمييز بين الأشياء ، توصلنا إلى أنّ الأفضل، هو اطلاق مصطلح (العقل المسلم) على العقل الطبيعي (القوة المدركة) الذي يمارس نشاطه العلمي وفق الأسس والمسلّمات الإسلامية، أي تلك الآلة المدركة التي تنظم حركتها وآلية عملها وفق خارطة وتعليمات إسلامية ، وبذا يكون مفهوم (العقل المسلم) أكثر تحديداً ووضوحاً .

فعندما نستعمل مصطلح (العقل المسلم) ، نقصد به العقل البشري الذي يمارس عملية التفكير والتعامل مع المدركات بطريقة إسلامية; ليعطي نتائج إسلامية. ومجال ذلك، هو العلوم والمعارف ذات الطبيعة المذهبية; ولنطلق على ما ينتجه هذا العقل من علوم ومعارف اسم (الفكر الإسلامي) أو (العلوم والمعارف الإسلامية)، بل ونستطيع أن نطلق على جزء كبير من

تلك المكتشفات اسم الثقافة الإسلامية.

ولعلّ إطلاق اسم (العقل العربي) على (العقل الإسلامي)، متأت من نشوء هذا العقل في البيئة الناطقة بالعربية، ولأن تلك العلوم دُوّنت بلغة العرب ، واستوحت مادتها من الكتاب والسنّة ، بشكل أساس ، وهما نصّ عربي مبين ; ولأن الدولة التي تدير الحياة السياسية ، كانت دولة عربية بلغتها ونَسَب حكامها ، وقادتها الأساسيين.

عناصر تشكيل العقل المسلم

إذا اتّضح لنا المقصود بالعقل المسلم، وأنه العقل العامل وفق مبادئ ومسلّمات وآليات إسلامية ; لينتهي إلى نتائج إسلامية ، فلنوضِّح العناصر التي يتشكّل منها (العقل المسلم). أو بعبارة أخرى متى يصح تسمية العقل العامل بأنه عقل مسلم في مبادئ عمله ، وآلية ممارسته وإنتاجه .

إن هناك عدة عناصر أساسية، متى توفرت لعمل العقل الإنساني، تشكلت حركته وبنيته تشكيلا إسلامياً وتحرّك في سياق موحّد يتسم بالأصالة والعطاء ونقاء الهوية.

ويمكننا تلخيصها بالآتي :

1 ـ العقلانيّة :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويقصد به أن العقل هو المبدأ الأساس في إيجاد وتقويم الفكر الإسلامي .

إنّ الإنطلاق من هذا المبدأ، هو أحد مشخصات العقل المسلم. فإن من المبادئ الأساسية التي قرّرها القرآن الكريم، أن العلم والعقل والبرهان، والتفكر في الخلق، هي الطريق إلى معرفة الله، وإثبات وجوده، وهي الطريق إلى فهم الرسالة الإلهية والتعامل معها، كما هي الطريق إلى فهم العالم، وإلى ذلك ذهب فريق من علماء الإسلام، وفي مقدّمتهم الشيعة الإمامية، وبعض فرق المعتزلة.

نذكر من البيان القرآني قوله تعالى :

(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِم وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلقِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقتَ هَذا بَاطِلا سُبحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار)[8].

(فَقُلنَا اضرِبُوهُ بِبَعضِهَا كَذَلِكَ يُحيِي اللهُ المَوتَى وَيُرِيكُم آيَاتِهِ لَعَلَّكُم تَعقِلُون)[9].

(أيَوَدُّ أحَدُكُم أن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِن نَخِيل وأعنَاب تجرِي مِن تَحتِها الأَنهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَراتِ وَأَصَابَهُ الكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأصَابَهَا إعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحترَقَت كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُون)[10].

(10)

(وَهُو الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوجَينِ اثنَينِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهَارَ إنَّ فِي ذَلِكَ لآيات لِقَوم يَتَفَكَّرُون)[11].

(وَتِلكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعقِلُهَا إلاَّ العَالِمُونَ)[12].

(وَمِن آيَاتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعدَ مَوْتِها إنَّ فِي ذَلِكَ لآيات لِقَوْم يَعْقِلُون)[13].

وكما دعا القرآن إلى توظيف العقل، واعتماده في هذه المهمة الصعبة، وضّحت السنّة المطهّرة أهمية العقل، وأبرزت دوره في تحصيل المعارف والعلوم الإسلامية، وتنظيم حياة الإنسان، كما أكّدت دوره في الإيمان ومعرفة الله تعالى.

رُوي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله لعليّ (عليه السلام): **«يا عليّ لا فقر أشدّ من الجهل ، ولا مال أعْودَ من العقل»**[14].

وعن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام): **«لمّا خلق الله العقل استنطقه ، ثمّ قال له : أقْبِل فأقْبَل ، ثمّ قال أدْبِر فأدْبَر، ثمّ قال له: وعزّتي وجلالي ، ما خلقت خلقاً هو أحبَّ إليَّ منك، ولا أكملتك إلاّ في مَن أُحبّ ، أما إنّي إيّاك آمر، وإيّاك أنهى، وإيّاك أُعاقب ، وإيّاك أُثيب»**[15].

---

(8) آل عمران : 191 .
(9) البقرة : 73 .
(10) البقرة : 266 .
(11) الرّعد : 3 .
(12) الكهف : 43 .
(13) الرّوم : 24 .
(14) الكليني / الأصول من الكافي / ج 1 / ص 69 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): **«العقل دليل المؤمن»**[16].

وقد بنى علماء الإسلام الفكر الإسلامي على أساس الدليل والبرهان العقلي والدليل العلمي.

قال العلّامة الحلِّي: «في بيان وجوب معرفته تعالى بالدليل لا بالتقليد: ولمّا وجبت المعرفة وجبت أن تكون بالنظر والإستدلال»[17].

وبذا يؤسّس الفكر الإسلامي على أساس العقلانية والدليل العقلي.

الموقف من العقلانيّة :

ودراسة وتحليل الإتجاهات الفكرية ، والبُنية المعرفيّة الإسلامية ، توصلنا إلى أن هناك ثلاثة اتجاهات مدرسيّة برزت في مجال تحديد قيمة العقل ، وتوظيف طاقته ، وهي :

أ ـ **الغاء وتعطيل دور العقل في فهم الشرع،وإثبات العقيدة;**وإلى ذلك ذهب الفهم الظاهري والحشوي،ودعا إلى التوقّف عند ظاهر النصّ،بل والذهاب إلى أن الايمان بالله مصدره الشرع،وليس العقل.وقد أدى هذا الاتجاه الظاهري والسلفي إلى تجميد حركة العقل، وإيقاف دوره في الفهم والإستنباط، والاستفادة من روح النصّ والخزين المحتوي فيه، وتمثّل

هذا الاتجاه في الظاهرية، والحشوية، والسلفية، والأشاعرة، وبعض توجّهات الأخبارية الشيعية.

ويشارك تلك الاتجاهات الاتجاه الصوفي والعرفاني الذي ألغى دور العقل في تحصيل المعرفة، وقال بنظرية الكشف المتأتي عن طريق تطهير الباطن، وأن النفوس النقية تتصل بالعقل الفعّال، فيفاض عليها العلم، فالعقل بمنهجه البرهاني والاستدلالي لا يوصل إلى المعرفة الحقّة.

ب ـ **المغالاة في دور العقل**، والخروج من العقلية العلمية إلى الشكلية السفسطائية ، والتحكّم بالشرع وفق تلك الشكلية غير المنطقية.

إذ كان هذا الاتجاه مغالياً في قيمة العقل ودوره، فقد أفرط في تقويم العقل وتحكيمه، والاعتماد عليه في تحصيل المعرفة، وفهم العقيدة والشريعة والسلوك، والطبيعة والنفس. وقد مثّل هذا الاتجاه فريق الفلاسفة المسلمين المتأثرين بالفلسفة اليونانية، كما ونتج عن تلك المغالاة، وعدم معرفة حدود العقل، واقحامه في ميادين ليس من شأنه الدخول اليها، عبثاً في المفاهيم الإسلامية، وفرض صيغ تفسيرية للنص الإسلامي والمحتوى الفكري وفق ممارسات عقلية خاطئة، فقد أخطأ أولئك العقليون في توظيف العقل كأداة للفهم وانتاج المعرفة.

ومن أمثلة تلك الممارسات العقلية الخاطئة ; القول بأنّ الواحد لا يصدر منه إلاّ واحد، وأنّ العالم قديم[18]، لأنّ علّته ـ الخالق سبحانه ـ قديمة، منطلقين من القول بأن المعلول لا يتخلّف عن العلّة ، فقادهم ذلك المبدأ العقلي الطبيعي إلى القول بقِدَم العالم لقِدَم علّته ـ الخالق سبحانه ـ ثم القول بنفي الإختيار الإلهي، وأن الله لا يستطيع أن لا يخلق العالم. لأن التلازم حتمي بين وجود العلّة والمعلول،

---

(15) المصدر السابق / ص 53 .
(16) المصدر السابق / ص 69 .
(17) الباب الحادي عشر / ص 7 .
(18) وبعد أن اكتشف هذا الإتجاه تعارض هذه النظرية الخاطئة مع عقيدة التوحيد ، عدّلوا نظريّتهم فقالوا : بأنّ العالم قديم بالزمان ، حادث بالذات .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

فمتى وجدت العلّة وجب أن يوجد المعلول، ولأن الله علّة هذا العالم موجود; فيجب أن يوجد العالم من غير اختيار علّته . وبذا أنكروا الاختيار الالهي، وقدرته على الفعل والترك.

ومن أمثلة الشكلية العقليّة ، القول باشتراط السنخيّة في التأثير ، التي تعني أن الخالق لا يمكن أن يؤثِّر مباشرة في الخلق; لإختلاف ذات الخالق عن طبيعة الخلق، فلا بدّ من وجود وسائط تتلائم مع الذاتين من جهتين ، ليتحقّق التأثير الالهي في الخلق .

ومن أمثلة تلك المفارقات، الانطلاق من أن الحقائق العلمية تقسم إلى قسمين : حقائق كلِّيّة ، وحقائق جزئيّة ، وأن الحقائق الكلِّيّة ثابتة ، وليست متغيِّرة، وأن الحقائق الجزئيّة خاضعة للحدوث والتغيّر والتبدّل، وقاسوا على ذلك أنّ علم الله سبحانه ، يكون مختصّاً بالكلِّيّات ، فهو لا يعلم الجزئيّات ، ذلك لأنّ علمه قديم وثابت .

بل وأقحم العقل في البرهنة التجريدية على مسائل حسِّيّة تجريبية،لا يمكن للعقل المجرّد إدراكها الاّ بواسطة التجربة أو المعلومة الحسِّيّة،وكم وجدنا من بحوث عقلية في التراث،وفي مجال الطب،والفيزياء والفلك والمادّة...الخ،خاطئة،اعتقد أصحابها أنهم أتموا البرهان العقلي

القاطع عليها .

وهكذا وقع العقل بين التحجّر والجمود، ورفض الممارسات العقلية لفهم العقيدة والشريعة، وبين العبث والتخبط، وتشويه الفكر والعقيدة الإسلامية، والخروج من العقلية العلمية إلى الحذلقة والسوفسطائية والتجريدية الخاطئة.

وكان لهذين الإتجاهين أثرهما السلبي، وإفرازاتهما الضارة في الفكر الإسلامي، نواجهها في مجالات شتى منه، نواجهها في الفكر والتشريع، وفي فهم الحياة، وتقويم العقل والإرادة البشرية... الخ.

ج ـ التوظيف العلمي للعقل : والاتجاه الثالث، وهو الاتجاه المعبّر عن التقويم القرآني للعقل، وهو الاتجاه الذي حدَّد قيمة العقل تحديداً طبيعياً، أي انطلق من أن الإنسان عاقل مدرك، وحينما يخاطب من قبل الله تعالى، إنَّما يخاطب بهذا الاعتبار. أو بعبارة أخرى إن الخطاب موجه إلى العقل، كما أنه حينما يتعامل مع الاشياء يتعامل ككائن عقلي مع ما يحمل من أدوات الحس والغريزة.

فالعقل، وفق هذا الاتجاه، هو القوة التي تمنح الإنسان قيمة وجوده، وبها يصنع حياته كإنسان، وهو الفارق بينه وبين سائر المخلوقات على هذه الأرض، وأن للعقل إمكانياته ومؤهلاته الإدراكية التي تضع له حدوده وصلاحياته .

فقيمة العقل قيمة علمية، وتلك القيمة العلمية، منطلقة من قدرته على فهم الأشياء وإدراكها بشكل مطابق للواقع الخارجي، كما أنه قادر على الاستنتاج، وانتاج المعرفة المركَّبة والتحليلية، سواء أكانت في مجال معرفة الخالق، أو المخلوق ـ الطبيعة والحياة ـ أو الرسالة والوحي الإلهي.

وأبرز مَنْ بيَّن هذا الاتجاه القرآني، من الناحية التنظيرية، هي مدرسة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فقد آمنت هذه المدرسة بأن قيمة العقل تُقيّم على الأسس الآتية :

1 ـ قدرته على اكتشاف العالم الخارجي المتطابق مع الواقع.

2 ـ قدرته على الربط والتحليل والإستنتاج، وبتوظيف هذه القدرة يتوصّل إلى معرفة الله تعالى.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

3 - انّ له حدوداً ومجالات ليس بوسعه أن يتجاوزها، فهو جزء من عالم الطبيعة ، وتحكمه قوانينها وحدودها ، فهو مثلا ، لا يستطيع أن يفهم معنى العلاقة الوجودية بين الله والخلق بحقيقتها التفصيلية، وحينما دخل في تفسير هذه العلاقة، انتهى إلى نظريات منتزعة من فهم العلائق في عالم الطبيعة، فإن الذين أقحموا عقولهم في هذا المجال انتهوا، مثلا ، إلى القول بوحدة الوجود والموجود، والتي آلت إلى القول بوحدة الذات الإلهية مع ذات غيره من موجود.

ومن أمثلة الغلوّ العقلي ، ما ذهب اليه البعض حين تعذّر عليه إيجاد تفسير عقلي للمعجزة، وفق قوانين الطبيعة التي تحكم حركة العقل في عالم المادة، فأنكر حدوث المعجزة، ونسي أن من أحكام العقل السليم، هو التسليم بأن لكل شيء حدوداً، وأن العقل كقوّة مدركة لها حدود أيضاً .

(13)

وفي النهاية نخلص إلى أنّ العقلانية العلمية ، هي إحدى العناصر الاساسية التي يتشكّل منها العقل المسلم من غير إلغاء لدور العقل، أو مغالاة سوفسطائية فيه .

2 ـ مبدأ العلِّيّة والسّببية :

والعنصر الثاني الذي تتشكل منه بنية العقل المسلم، هو الايمان بمبدأ العلِّيّة والضرورة السّببية في عوالم الطبيعة والفكر والمجتمع.

فقد ثبّت القرآن هذا المبدأ، وأسّس عليه.. وحين انتقل الفكر الإسلامي إلى مرحلة التنظير، وبناء النظرية على أساس العلاقة بعقيدة التوحيد، نشأت بعض النظريات والأفكار التي أنكرت مبدأ العلّيّة والسببية، متوهمة أن الإيمان بالعلِّيّة والسّببية، في عالم الخلق، يتعارض وعقيدة التوحيد، توحيد الله في الفعل والتأثير... فأنكرت مبدأ العلِّيّة ، وأن يكون هناك أسباب طبيعية واجتماعية وفكرية، تؤثِّر فينتج عنها معلولات ونتائج ضرورية، بل فسّروا الإقتران المتكرِّر بين الحوادث بجريان العادة (عادة الله تعالى في الخلق).

وقد تصدّر هذا الإتجاه الأشاعرة والمتصوفة، وردّ عليهم المعتزلة والشيعة الإمامية وفلاسفة الإسلام، بردود واسعة وضافية في كتب الكلام والفسلفة والمناظرة .

ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن بعض الفلاسفة الماديين الغربيين ينكر الضرورة العلِّيّة ويفسِّرها بالعادة ، مثل برتراند ، وهيوم الذي فسّر السلوك البشري واللغة بالعادة، ورفض مبدأ العلِّيّة.

«لقد فكّك هيوم علاقة السببية وأرجعها إلى العادة ثمّ توقّف ، فكان أن نقل السببيّة من الظاهرة إلى الذّات ، وجعلها عادة بيولوجية وفصلها عن اللّغة ورموزها ، فلم يحلِّل العادة ، ولم يفكّ الرّمز منها ، ولم يطهرّها من اللغة . فقد اعتبر العادة جوهراً نهائياً ونسب إليها ظاهرة السببيّة ، ووضع التكرار الآلي في أساس وجود العادة. فجعل إحتمال الأسباب هو الذي يسيطر على الناس وذلك على أساس تتابعات سابقة متجانسة حدثت الأمور على منوالها. إذ إنّ توالي الحوادث وَوُقوع الحوادث المتجانسة على منوال واحد تُكوّن لدى الإنسان عادة، وهذه العادة تصبح توقّعاً نفسيّاً لحوادث أُخرى متشابهة. وهذه العادة تزاد تثبيتاً ورسوخاً مع التكرار الآلي المتجانس ، وعليه فإنّ الإنسان يزداد وثوقاً من توقّعاته المستقبلية ، وينتقل بحكمه من مرحلة الظنّ إلى مرحلة الإحتمال البرهاني .

إنّ العلاقة السببية بين الحوادث تبدأ بالمشاهدة البسيطة ثمّ تتطور مع المشاهدة المستمرّة ومع التكرار حتّى تصل إلى حدّ الإعتقاد بوجود رابط قوي بين الحوادث، حيث ينتقل بعدها الإنسان إلى مرحلة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إحتمال البرهان وإلى مرحلة التصديق التجريبي العملي. وبهذه تتكوّن عند الفرد عادة التواتر السببي، إذ تكفي عند ذلك أن يتلاحق شيئان مرّة واحدة، ليربط بينهما برباط سببي، بحيث يتوقّع النتيجة إذا وقع السبب ، لا لإنّ التكرار هو الذي أعطى ذلك، بل لإنّ العادة أصبحت شيئاً طبيعياً عند الفرد. وبذلك تُصبح العادة قوة بيولوجية أُسقطت من العالم الخارجي على الجسد ، ولم يعد للّغة الرمزية من دور في إظهار السببيّة الطبيعيّة»[19].

(14)

3 ـ إنّ الحِسّ هو المصدر الأوّل للمعرفة البشرية :

قال العلّامة الحلّي: «إعلم إن الله تعالى خلق النفس الإنسانية في مبدأ الفطرة خالية عن جميع العلوم بالضرورة، قابلة لها بالضرورة، وذلك مشاهد في حال الأطفال، ثمّ خلق الله تعالى للنفس آلات بها يحصل الإدراك، وهي القوى الحسّاسة ، فيحسّ الطفل في أوّل ولادته بحسّ لمس ما يدركه من الملموسات، ويميّز بواسطة الإدراك البصري على سبيل التدرّج بين أبويه وغيرهما، وكذا يتدرّج في الطعوم، وباقي المحسوسات إلى إدراك ما يفعله بتلك الآلات، ثمّ يزداد تفطّنه فيدرك بواسطة إحساسه بالأمور الجزئية الأمور الكلية من المشاركة والمباينة، ويعقل الأمور الكليّة الضرورية بواسطة إدراك المحسوسات الجزئية، ثمّ إذا استكمل الإستدلال وتفطّن بمواضع الجدال أدرك بواسطة العلوم الضرورية العلوم الكسبية ، فقد ظهر من هذا أن العلوم الكسبية فرع على العلوم الضرورية الكليّة، والعلوم الضرورية الكلّيّة فرع عن المحسوسات الجزئية، فالمحسوسات إذاً هي أُصول الإعتقاد، ولا يصحّ الفرع إلاّ بعد صحّة أصله...»[20].

وهذه النظرية ، كما يذهب بعض المفسّرين ، مؤسّسة على قوله تعالى : **(وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم لاَ تَعلَمُونَ شَيئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُم تَشْكُرُون)**[21].

وتشكِّل هذه النظرية نقلة كبرى في التفكير البشري ، فهي تنطلق من الواقعية العلمية ، ذلك لأن مصدر المعرفة هذه حقيقة حسّيّة لا سبيل لإنكارها ، ويشهد بها الحسّ والتجربة .

ومعنى أن الحسّ هو مصدر المعرفة ينسحب على المعرفة العقلية أيضاً، فدور العقل هو تسلّم المعرفة الجزئية عن طريق الحواس وإدراكها، وانتزاع الكلِّيّات منها، ثم تعميمها، والاستنتاج منها (الاستقراء والقياس)، وهذا يعني أن التوالد الفكري، تارة يكون توالداً ذاتياً، وأخرى توالداً موضوعياً [22] .

فالتوالد الذاتي: «يعني إمكانية نشوء معرفة، وتولّد علم على أساس معرفة أُخرى دون أي تلازم بين موضوعي المعرفتين، وإنّما يقوم التوالد على أساس التلازم بين نفس المعرفتين. ووفق هذا المنهج استنتج الفكر البشري من معرفته بعالم المخلوقات والمعاجز والدلائل المختلفة، استنتج المعرفة بوجود الله سبحانه لوجود التلازم بين المعرفتين .

---

(19) سامي الأدهم / فلسفة اللغة / ص 139 . سامي النشّار / مناهج البحث / ص 125 .
(20) نهج الحق وكشف الصدق / ص 39 .
(21) النحل : 78 .
(22) يراجع : محمّد باقر الصدر / الأسس المنطقيّة للإستقراء .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أمّا التوالد الموضوعي للفكر أو المرحلة الاستنباطية من الدليل الاستقرائي فيقوم على أساس التلازم الموضوعي بين المعرفة المولِّدة والجانب الموضوعي من المعرفة المتولِّدة. ومثالها الاستنتاج في علوم الفلك والفيزياء والطب والنبات ... الخ»[23].

وجدير ذكره أن النظرية،التي لخّصها العلاّمة الحلّي بما سبق،لا تتعارض مع أن الوحي والمعرفة الغريزية مصدران من مصادر المعرفة،فالوحي ليس معرفة كسبية يحصل عليها

الإنسان بجهده الإنساني، بل هي تعليم إلهي يتلقّاه الأنبياء بجهاز تلق بشري ـ الحسّ والعقل والروح ـ ، كما يوضّح ذلك قوله تعالى :

(لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه * فَإِذَا قَرَأنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه)[24].

كما يحصل بعضه عن طريق المنام والإلقاء في النفس، وهو الجزء الأقل من الوحي الملقى إلى الهادي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) . فظاهرة الرؤيا الصادقة في المنام وحصول المعرفة في النفس، من غير جهد حسِّي، ظاهرة مألوفة في الحياة البشرية، ولم تزل الجهود العلمية تتواصل لتقديم تفسير علمي لها .

4 ـ اعتماد المنهج الاستقرائي والإحتمال والقياس :

لقد اعتُمِد على هذا المنهج في إكتشاف المعارف الإسلامية ، كما هو المنهج المعتمد لديهم في الأبحاث التجريبية والمادية ; وبذا اعتمدوا منهجاً علمياً واحداً في حقول المعرفة الإلهية والإنسانية والمادية معاً. ويشكِّل هذا المنهج عنصراً هامّاً من عناصر بناء العقل المسلم، وتحقيق علميته. وسنبحث هذا الموضوع بشكل أكثر تفصيلا في موضوع الجهاز المعرفي .

5 ـ الإيمان بالله الأحد :

تبتني العقيدة الإسلامية التي بشّر بها النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) على الايمان بالله الواحد الأحد، المتصف بكل صفات الكمال ، المنزّه عن الشبيه والمثيل والضدّ ، كما هو منزّه عن النقص وفعل الشر والظلم .

وهذا البيان الذي نادى به القرآن، هو وصف الله تعالى لذاته المقدّسة، وتعريفه نفسه للعباد، وهو الوصف الذي يكشف عنه الدليل العقلي، كما تكشف المشاهدة والتجربة الحسِّيّة في عالم المادّة والطبيعة عن كمال المُبْدِع ووحدانيته، من خلال كمال الخلق ووحدة نظامه. والمبدأ العلمي المتبّع في تحصيل العلوم المادِّية ـ مبدأ الإستقراء والقياس ـ هو نفسه المنهج المتّبع في إثبات وجود الله، وقضايا العقيدة والإيمان.

قال العالم الفسيولوجي أندرو كونوايفي:«...أحبّ أن ألفت الأنظار إلى طريقة الإستدلال التي نستخدمها في علوم الرياضة،فمن المعروف في علم الهندسة،أ نّنا نستطيع أن نبني كثيراً من النظريات على عدد قليل من البديهيات،أو تلك الفروض التي نسلِّم بها،ونقبلها دون مناقشة أو جدال حول

---

(23) هاشم الموسوي / التشيّع نشأته ، معالمه / ص60، مستفادة من المصدر السابق.
(24) القيامة : 16 - 18 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صحّتها،فالعلماء يسلِّمون أوّلا بالبديهيات،ثمّ يتتبّعون مقتضياتها،أو النتائج التي تترتّب عليها،وعند إثبات نظرية نجد أن برهانها يعتمد في النهاية على مسلّمات أو أُمور بديهية،وكذلك الحال فيما يتعلّق بوجود الله،فوجوده تعالى أمر بديهي من الوجهة الفلسفية، والإستدلال بالأشياء على وجود الله ـ كما في الإثبات الهندسي ـ لا يرمي إلى إثبات البديهيات،ولكنّه يبدأ بها،فإذا كان هنالك اتفاق بين هذه البديهية،وبين ما نشاهده من حقائق هذا الكون ونظامه يعدّ دليلا على صحّة البديهية التي اخترناها ...»[25].

(16)

وهذه الحقيقة الكبرى في العقيدة الإسلامية، هي منطلق تشكيل العقل المسلم، وبداية افتراقه مع العقول الأخرى، وهي القاعدة التي تتسق معها العلوم والمعارف جميعها، وهي النتيجة المنطقية التي قادت اليها نظرية المعرفة الواقعية، وكم كان الايمان بهذا الأصل العقيدي والفكري أساساً للاختلاف في النظريات والآراء الفلسفية والمعرفية والسياسية وتفسير السلوك والإرادة الإنسانية.

فهذه العقيدة، هي نتيجة لنظرية المعرفة التي أنتجها العقل العلمي، كما أن نظرية المعرفة بنية فكرية متناسقة مع هذه العقيدة في كل عناصر بنائها، ومجالات إنتاجها الطبيعي والإلهي والاجتماعي والعقلي.

وهكذا آمن العقل بوجود الله بواسطة الدليل والبرهان العقلي، ونظّر المعرفة، وشكّل ذاته ونشاطه على أساس هذه العقيدة، فكان عقلا مسلماً.

ولعلّنا نجد في آيات عديدة من القرآن الكريم هذا الترابط واضحاً مثل قوله تعالى :

(الرّحْمنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإنْسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَان)[26].

(إقْرَأ وَرَبُّكَ الأكْرَم* الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَم* عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم)[27].

(قُلْ هُوَ الَّذِي أنْشَأكُم وَجَعَلَ لَكُم السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُون)[28].

(وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُم لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُم السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُم تَشْكُرُون)[29].

انّ التـأمّل في هذه الآيات ، يوضّح أن الخـالق هو الذي وهب الإنسان أدوات المعرفة ، وهي أدوات الحسّ والعقل ، فعلّمه بها أنماطاً شتّى من المعرفة .

فالآيات تتحدّث عن بداية المعرفة لدى الإنسان، وأن الإنسان خرج من بطن أُمّه لا يعلم شيئاً، ثم تعلّم عن طريق السمع والبصر وغيرها من الحواس، وعن طريق الأفئدة (العقول). فالآية توضّح أن الحس هو مبدأ المعرفة، ثم يتدرج الإنسان من المعرفة الحسّية إلى المعرفة العقلية التي توصل إلى معرفة الله الخالق، ثم يكون الايمان بالله، الذي أنشأ الإنسان بكل ما فيه من جسم وعقل ونفس وروح، أساساً للفهم والتفكير; ليتجسّد الشكر في كل ما يواجهه الإنسان من نعم الله تعالى في هذه الحياة; وليقوم نشاطه بأسره على أساس الايمان بالله، منطلقاً من أدلة العقل والحس، الموصلة إلى ذلك.

---

(25) الله يتجلّى في عصر العلم / ص 151 .
(26) الرّحمن : 1 - 4.
(27) العلق : 3 - 5 .
(28) الملك : 23 .
(29) النحل : 78 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وحينما تنفصم العلاقة بين العقيدة الإلهية والمعرفة، لن يكون العقل عقلا مسلماً، ولا المعرفة معرفة إسلامية، أي حينما تكون طريقة التفكير، وما تنتجه من معرفة طريقة تتنكر للإيمان بالله، أو تشوّه عقيدة التوحيد، فإنّهما طريقة ومعرفة غير إسلاميتين.

(17)

6 ـ الحرّيّة والإختيار الإنساني :

والعنصر الهام في فهم وتفسير السلوك الانساني، وعلاقته بالإرادة والمشيئة الإلهية الذي ساهم مساهمة فعّالة في تشكيل بنية العقل المسلم وتعامله مع الإنسان، هو نظرية تفسير السلوك الإنساني، وهل هو يجري وفق الإرادة والاختيار، أم أن الإنسان مجبر على أفعاله، كما هي المخلوقات الطبيعية التي تجري عليها الحوادث والتغيرات والقوانين دونما إرادة أو اختيار.

لقد جاء القرآن بعقيدة الإختيار، وخاطب الإنسان ككائن مريد مختار، يملك الإرادة والإختيار، فهو الذي يختار أفعاله، لذا كان مسؤولا عنها، وبذا ربط بين الحرّيّة والمسؤولية، وهو الذي يفعل أفعاله، خيرها وشرّها ، وذلك لا يعني أنّ الله غير قادر على منعه من ممارسة ذلك الفعل ، كما لا يعني أ نّه الخالق للأفعال ، بل هو المُعِدُّ والمنفِّذ باختياره للأفعال ، فهو يستخدم القوّة والقوانين الطبيعية المنصاعة لإرادته، وفق قانون الخلق الإلهي، لتنفيذ مايريده، فإن شرّاً فشرّاً، وإن خيراً فخيراً.

قال تعالى :

(إنّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إمّا شَاكِراً وَإمّا كَفُوراً)[30].

(بَلِ الإنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أ لْقَى مَعَاذِيرَه)[31].

(ذَلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُم وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاّم لِلْعَبِيد)[32].

(لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّر)[33].

(وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِين)[34].

7 ـ مصدر المعرفة الإسلامية :

وبعد أن حُدِّد المنهج الإسلامي لحركة الفكر،وأنه ينطلق من مبدأ الاعتماد على العقل، وأن الحس هو مصدر المعرفة، كما أوضح العلاّمة الحلّي، والإعتراف بمبدأ الضرورة السببية، وأن المعرفة الإسلامية تتسق مع الإيمان بالله الواحد الأحد وبقدرته على كل شيء.

بعد أن حُدِّد كل ذلك لتنظيم عمل العقل المسلم،حُدّدت كذلك المادة الفكرية التي يتعامل معها العقل المسلم لإنتاج المعرفة الإسلامية، منها أو على ضوئها، وحُدِّدت بثلاثة مصادر هي:

1) القرآن الكريم .
2) السنّة المطهّرة .

---

(30) الإنسان : 3 .
(31) القيامة : 14 - 15 .
(32) آل عمران : 182 .
(33) المدّثر : 37 .
(34) آل عمران : 145 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

3) العقل .

وينبغي لنا أن نوضح هنا كيفية استفادة المعرفة الإسلامية من هذه المصادر، ولماذا تسمّى المعرفة المستنبطة والمستفادة منها، أو على ضوئها معرفة إسلامية ، رغم تعدّدها وتباينها ؟ وما هو الضابط والمقياس لتحديد ما هو صواب مُعبّر عن محتوى الرسالة الإسلامية، وما هو خطأ، أو انحراف، أو رؤية تُعبّر عن اتجاه المستنبط، أو صاحب الرأي؟

وذلك يستدعي بحث هذه القضية كالآتي:

1) القرآن الكريم :

ففي البدء كان من المسلّمات الأساسية التي فرغ العقل من الاستدلال عليها والتسليم بها ، هي وجود الله تعالى وعموم قدرته ، وأنه قادر على بعث الأنبياء والرّسل ، والإيحاء إلى بشر يختصهم بوحيه ، لطفاً بالبشرية ، وحفظاً لمصالحها وتنظيم حياتها ، ومن أجل تعريفها بخالق الوجود، وبذا كان الاستدلال على الأصل العقيدي هو استدلال عقلي. وذلك ما تذهب اليه الشيعة الإمامية والمعتزلة ، وتخالفهم فيه الأشعرية والحشوية من المذاهب السنّية ، وهو ما دعا اليه القرآن ، ونادى به حيث دعا إلى استعمال العقل والتفكّر والإستنتاج وفهم الوجود ; لمعرفة الخالق.

وهكذا تمّ الاستدلال على صحة الوحي والقرآن استدلالا عقلياً ، ومن ثمّ ينتقل العقل إلى فهم النصّ القرآني وتحديد منهج التعامل معه ، والإستنباط منه .

علم إكتشاف الدلالة القرآنية :

ولكي يتم تنظيم، وضبط منهج التعامل مع القرآن استوجب وضع علمين هامّين هما :

أ ـ علم التفسير . **ب ـ** علم التأويل .

ولمزيد من الإيضاح، نعرّف بإيجاز بكلٍّ مِن هذين العلمين :

أ ـ علم التفسير :

التفسير في اللّغة مأخوذ من الفسر، وهو الكشف عن الشيء المغطّى. وعرّف السيّد الخوئي التفسير بأنه :

«إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز، فلا يجوز الإعتماد فيه على الظنون والإستحسان، ولا على شيء لم يثبت أ نّه حجّة من طريق العقل أو من طريق الشرع»[35] .

ثمّ علّق قائلا : «ومن هذا يتضح أ نّه لا يجوز إتّباع أحد من المفسِّرين في تفسيره، سواء أكان ممّن حسن مذهبه، أم لم يكن ; لأنه من اتّباع الظن، وهو لا يغني من الحق شيئاً»[36].

وهذا التعريف يستوجب الدقّة والتأمّل، فليس تفسيراً الاّ ذلك العمل العلمي الذي يسعى للكشف عن المحتوى الحقيقي للقرآن القائم على دليل العقل أو الشرع. كالآية المفسرة لآية آخرى، أو بيان مُفسِّر من السنّة، فعملية التفسير إذن تساوق عملية الكشف العلمي في مجال

---

(35) السيّد الخوئي / البيان / ص 421 .

(36) نفس المصدر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(19)

الفيزياء والطب والفلك... فهي تستبعد العنصر الذاتي، وتخصص العمل في الجانب الموضوعي ; لذا فهو بيان وايضاح المراد الإلهي المستودع في نصّ الكتاب .

ومن بديهي القول أن نوضِّح أنّ القرآن نصّ عربي مُبين ، عجزت العرب بفصاحتها وبلاغتها عن مجاراته ; لذا تلقّاه العرب بيُسر ، وتعاملوا معه بوضوح ، عدا ما ورد فيه من قضايا فكرية وتشريعية تحتاج إلى فهم أو تفصيل من العلم والعمل ، كما ورد في رواية عثمان وابن مسعود ، قال :

«أن رسول الله كان يُقرؤهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أُخرى، حتّى يتعلّموا ما فيها من العمل، فيعلمهم القرآن والعمل جميعاً»[37].

لذا كان الرسول هو المُبيّن والمُفسِّر للقرآن في هذا المجال، وليس في المجال اللّغوي ، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يُبيّن لأصحابه ما في آي القرآن من علم وعمل، إذ لم يكن العربي الذي تلقى النصّ بحاجة إلى أن يفهم معنى المفردة اللغوية، الاّ اذا كانت مفردات قبيلة أخرى، أو بعض ما استعمله القرآن من مفردات غير عربية ، وهو نادر جدّاً . فقد نزل القرآن بلغة قريش .

ويُعتبر علم التفسير أوّل علم عرفه المسلمون من العلوم الإسلامية، فقد نشأت الحاجة إلى التفسير مع نزول القرآن، وبذا يكون هذا العلم قد نشأ في عصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوّل مبيّن للقرآن هو الرسول محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وانّ مهمّته الأساسية كانت تتركز في تبليغ القرآن وبيانه والعمل به .

قال تعالى : **(وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم)**[38].

والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تلقى البيان عن ربّ العزّة سبحانه، قال تعالى: **(لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه * فَإِذا قَرَأنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيَانَه)**[39] .

ولأهميّة وعظمة القرآن، ودوره في تشكيل العقل المسلم ، وتكوين المعارف الإسلامية ، اهتمّ جيل الصحابة والتابعين ، كما اهتم أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وفي مقدّمتهم الإمام علي (عليه السلام) بتفسير القرآن، وبيان محتواه الفكري والتشريعي والتربوي والمعرفي العام.

وفي عملية التفسير تفاوتت الآراء والبيان لمحتوى الكتاب وفهمه، وحين نشأ الجدل العقيدي، وتفلسف مفكرون إسلاميون، ونشأت الآراء الكلامية التي بحثت القضايا العقيدية، كالصفات الإلهية، وقدرة الإنسان على الاختيار، أو سلب الاختيار منه، وقضايا البعث والجزاء، والوحي والإمامة وأمثالها، وتزامن مع هذه الفترة دخول الأساطير الإسرائيلية (الإسرائيليات) وأفكار الأُمم والشعوب وأساطيرها عن الكون والطبيعة ، في الوقت الذي احتدم فيه الصراع السياسي على السلطة والإمامة.

(20)

تأثّر المفسرون بتلك الآراء والأوضاع، فتسلّلت إلى التفسير ، كما لجأ أصحاب الفرق والمذاهب، إلى إسناد آرائهم بتحميل الآيات تلك الآراء ، فتحوّل التفسير عند البعض، أو في بعض مواقعه إلى توظيف

---

(37) نفس المصدر / ص 38 .
(38) النّحل : 44 .
(39) القيامة : 16 - 19 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الآية ; لإسناد الرأي، وإن كان واضح الشذوذ والبُعْد عمّا تدل عليه الآية ، وليس كشفاً عن محتوى الآية، ولا بياناً لمراد الله تعالى من كتابه .

إنّ المفهوم العلمي المستفاد من تعريف التفسير يوضّح بجلاء أن علم التفسير، هو علم تحصيل الدلالة من النصّ .

فالتفسير يتعامل مع المفردة اللغوية لتحديد معناها الوضعي، واستعمالها القرآني، كما يتعامل مع الجملة التامة المعنى كهيأة تركيبية لاستجلاء معناها ، ودراسة ظروف النصّ ، ان كانت هناك ظروف خاصّة دخيلة في دلالته، ولا تنتهي عملية الحصول على المعنى بهذين الاجرائين في كل المواقع من التفسير، بل لا بدّ للفهم والاستكشاف من أخذ عموم الروح القرآني والسياق، والوحدة الموضوعية للآيات ، كالتي تتحدّث عن موضوع واحد في مواقع شتى من البحر القرآني. كموضوع الإنسان والمال والجنس والعقل والعدل والسلطة... الخ، لابدّ من أخذ كل ذلك، كعناصر في الفهم والاستكشاف، والاستنباط من النصّ القرآني .

وعندما ظهرت محاولات تخريبية للعبث والتلاعب بمحتوى القرآن، وأُضيفت على المراد القرآني ، بدافع الجهل ، أو العمد التخريبي ، أو العصبيّة، أو دوافع الذات الخارجة عن الموضوعية، وضع العلماء قواعد علمية، وشروطاً وضوابط لفهم القرآن، ونتيجة لذلك تعددت المذاهب والمناهج التفسيرية، ومحاولات الاستكشاف القرآني، كما كان ذلك في الفهم غير المنظَّر، فنتج عن ذلك الخلاف المنهجي نتائج خلافية في مجال العقيدة والتشريع والمفاهيم الحياتية العامّة ، فكان هناك إفراز فكري من حول النصّ، ولم يكن هذا الإفراز الفكري إفرازاً تام النقاوة، بل اختلط فيه الخطأ العلمي بالمحاولات التحريفية والعبثية التي أثقلت التفسير، وشوّهت معالم الدلالة الحقيقية للنص والروح القرآني.

وظهرت مناهج تفسيرية عدّة أبرزها المنهج القرآني للتفسير ، والمنهج الظاهري ، والمنهج الباطني ، والمنهج اللغوي ، والمنهج الفلسفي ، والعرفاني والصّوفي ، عدا محاولات تطويع الآيات والمفاهيم القرآنية للآراء والأفكار المذهبية، التي أوضحنا سلفاً .

تحوّل التعامل مع القرآن لدى البعض إلى عملية توظيف واستشهاد على الرأي المذهبي ، وليس عملية استكشاف علمي محايد من النصّ والروح القرآني العام، وكم نجد من تلك المتراكمات الموروثة في محاولات سمِّيت بأنها محاولات تفسيرية ، أو استشهاد بالقرآن، تحتاج إلى تنقية ، وتطهير التراث منها ، وفق قراءة علمية وتعامل موضوعي مع روح النصّ والدلالة .

منهج التفسير القرآني:

وفي خضم تلك الصراعات الفكرية نجد منهجاً علمياً قادراً على ضبط الفهم القرآني، إذا ما أُحسِنَ استعماله، وهو: (المنهج القرآني في فهم القرآن). وهو المنهج الذي اعتمده أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والعلماء السائرون على نهجهم ، والذي أُعتمد منهجاً تفسيرياً لفهم النّص والدلالة ، يعتمد على العناصر الآتية :

1 ـ تفسير القرآن باللّغة :

قال تعالى : **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُم تَعْقِلُون)**[40].

(40) يوسف : 2 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إعتمد الأصوليّون هذا المنهج اللغوي في الفهم والإستنباط، وسمّوا ما يستفاد من الظاهر اللغوي بالظهور، وثبّتوا قاعدة حجّيّة الظهور. ذلك لأن القرآن نصّ عربي مبين، وبإمكان كل عربي استوعب لغة عصر القرآن، أن يفهم النصّ القرآني، إلاّ ما كان المستفاد من النصّ لا يوصل إلى بيان حقيقته الخارجية، أو كان مجملا أو متشابهاً يحتاج إلى بيان آخر.

وذلك ما قامت الدراسة المنهجية بتقسيمه إلى:

أ ـ ما ينبغي تأويله اعتماداً على نظرية الحقيقة والمجاز، فمن نظم العربية، هو نظام المجاز اللغوي الذي يتحوّل فيه اللفظ إلى معبّر تجريدي في بعض من أشكال اطلاقه، مجرداً عن الحسية المادية، كاليد، والوجه والكرسي.

ب ـ قضايا كان بيانها موكولا إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد قام ببيانها وتفصيلها، كالصلاة والزكاة.

ج ـ قضايا مرتبطة بعالم الغيب، لا يعلم حقيقتها الخارجية الاّ الله سبحانه، وإن كان اللّفظ دالّ بوضوح على معناها في اللغة، مثل العرش، الوارد في الآيات ... الخ.

2 ـ تفسير القرآن بالقرآن :

والأداة الثانية لتفسير القرآن، هي القرآن نفسه، فالقرآن كما قيل: يفسرِّ بعضه بعضاً، فهناك الكثير من الآيات الغامضة المعنى والدلالة نستطيع أن نفهم معناها من دلالة آيات أخرى تسلك كقرائن تفسيرية لها ، ولعلّ من أبرزها تفسير المتشابه بردِّه إلى المحكَم .

3 ـ تفسير القرآن بالسنّة :

قال تعالى :

(وَمَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا)[41].

(وَأَ نْزَلْنَا إلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيّنَ لِلْنَّاسِ مَا نُزّلَ إلَيْهِم)[42].

من المسلّمات الأساسية أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المخاطَب المباشر بالوحي، وهو العارف بمحتواه، وهو المكلّف بتبليغه وبيانه ، وقد بيّن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن ووضّحه للمسلمين ، كبيان أحكام الصّوم والصّلاة والحجّ والزكاة والجهاد الواردة في القرآن الكريم وغيرها ; بل وسنّته (صلى الله عليه وآله وسلم) كلّها بيان للقرآن ... والتفسير النبوي بعضه تناول الجزئيات والتفصيلات ، وبعضه عبارة عن وضع أساس لفهم القرآن ، لذا فالسُنّة هي إحدى المراجع الأساسية في فهم القرآن، ولا يكون التفسير إلاّ بعد الإطلاع عليها.

4 ـ تفسير القرآن بالعقل :

والأداة الهامّة الأخرى من أدوات فهم القرآن وتفسيره، هي العقل.

---

(41) الحشر : 7 .

(42) النحل : 44 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فقد اعتبر القرآن العقل في هذه المدرسة، أداة أساسية من أدوات فهم القرآن بالتنسيق مع الضوابط الثلاثة الآنفة الذِّكر ، والالتزام بها . وقد شدّد القرآن على دور العقل في فهم النصّ والدلالة في مواضع كثيرة من بيانه ، مثل قوله :

(أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوب أَقْفَالُها)[43].

(قَدْ بَيَّنَّا لَكُم الآياتِ لَعَلَّكُم تَعْقِلُون)[44].

(قَدْ فَصَّلْنا الآياتِ لِقَوْم يَفْقَهُون)[45].

(كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون)[46].

وكم كان للعقل في هذا المنهج من دور في فهم الدلالة، وتنمية المعرفة، وبيان الكثير من المعارف القرآنية، وفتح آفاق واسعة أمام الحياة البشرية، وحماية العقيدة من شطحات الفهم المتحجّر.

قال الشيخ الطوسي عند تفسير قوله تعالى **(أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيْهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً)**[47]. قال: «هذه الآية تدل على أربعة أشياء : أحدها ـ على بطلان التقليد، وصحّة الإستدلال في أُصول الدِّين، لأ نّه حثّ ودعا إلى التدبّر. وذلك لا يكون إلاّ بالفكر والنظر ...» .

ولفهم القرآن والسنّة والاستنباط منهما، وضع علماء الإسلام منهجاً علمياً أسموه : (علم أُصول الفقه). وهو كما يقول العلماء منطق الفقه ، أو القوانين العامّة للتفكير الفقهي والاستنباطي العام ، كما عرّفه الفقيه الفيلسوف الشهيد محمّدباقر الصّدر بقوله: «إنّه العلم بالعناصر المشتركة في عملية الاستنباط»[48]. وهو بدوره حوى نظريات شتّى، وتسبّب في تعدّد مناهج الاستنباط ، وتباين بعض مواقع الفهم، والاستفادة من القرآن والسنّة ، والتعامل مع ما حمل نصُّهما من دلالة .

وقد تناول هذا العلم مباحث اللغة والعقل والقياس، كأدوات للاستنباط ، ودرسهما دراسة علمية وتحليلية مستفيضة.

ب ـ علم التأويل :

والعلم الثاني من علوم فهم الدلالة وصيانة المحتوى القرآني من الفهم الخاطئ هو(علم التأويل).

والتأويل في اللغة مأخوذ «من الأَوْل ، أي الرجوع إلى الأصل ، ومنه الموئل للموضع الذي يرجع اليه، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية

المرادة منه، علماً كان أو فعلا ، ففي العلم نحو : **(وَمَا يَعْلَمُ تَأوِيلَهُ إلاّ اللهُ والرَّاسِخُونَ فِي العِلْم)**[49]،

---

(43) محمّد : 24 .
(44) الحديد : 17 .
(45) الأنعام : 98 .
(46) يونس : 24 .
(47) النِّساء : 82 .
(48) دروس في علم الأصول / الحلقة الثانية ص 8 .
(49) آل عمران : 7 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي الفعل، قوله تعالى : (**هَلْ يَنْظُرونَ إلاّ تأوِيلَهُ يَوْمَ يَأتِي تأوِيلُه**)[50]، أي بيانه الذي هو غايته المقصودة منه...» [51].

وكما للتأويل مفهوم لغوي، فان له مفهوماً إصطلاحياً وقرآنياً. وعلماء الإسلام اختلفوا في تحديد معنى التأويل، فذهب بعضهم إلى أن التفسير والتأويل شيء واحد، ولا فرق بينهما ، بينما فرّق آخرون ، واعتبروا قول مَنْ ذهب إلى أن التفسير لا يختلف عن التأويل، ينمّ عن جهل بعلوم القرآن ومعارفه.

والتأويل كعلم مُستقِل عن التفسير ، عُرِّف بأ نّه: «ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر»[52] ، «وقيل التأويل انتهاء الشيء ومصيره ، وما يؤول اليه أمره»**(4)** .

أمّا الشهيد الفقيه السيد محمّد باقر الصدر، فيتحدّث عن معنى التأويل، كما حدّدته آيات من القرآن الكريم، فيقول :

«والمعنى الذي يناسب تلك الآيات، هو أن يكون المراد بتأويل الشيء، هو ما يؤول ، وينتهي اليه في الخارج والحقيقة، كما تدلّ عليه مادة الكلمة نفسها... ثم قال : فتأويل الآيات المتشابهة ليس بمعنى بيان مدلولها، وتفسير معانيها اللغوية، بل هو ما تؤول اليه تلك المعاني; لأنّ كل معنى عام حين يريد العقل أن يحدِّده ويجسِّده، ويصوِّره في صورة معيّنة، فهذه الصورة المعيّنة هي تأويل ذلك المعنى العام، وعلى هذا الأساس يكون معنى التأويل في هذه الآية(**[53]**) هو ما أطلقنا عليه تفسير المعنى; لأن الذين في قلوبهم زيغ، كانوا يحاولون أن يحدِّدوا صورة معيَّنة لمفاهيم الآيات المتشابهة، إثارة للفتنة; لأن كثيراً من الآيات المتشابهة تتعلّق معانيها بعوالم الغيب، فتكون محاولة تحديد تلك المعاني وتجسيدها في صورة ذهنية خاصّة ـ مادِّيّة أو منسجمة مع هوى ورأي المؤوّل ـ عرضة للخطر والفتنة...»[54].

وهكذا يوضِّح الشهيد الصّدر معنى التأويل، بأنه تفسير المعنى، وبيان حقيقة الشيء في الخارج، فهو إذن ضرب من التفسير، ولكنه ليس تفسيراً للفظ، فعندما نريد تفسير قوله تعالى: (**فأيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ**)[55] لانبحث عن معنى الوجه في اللغة، بل نبحث عن تفسير المقصود بالوجه في حقيقته الخارجية في هذه الآية ; لذا فالتأويل يبيّن حقيقة الوجه المقصود بهذه الآية، هل هو الوجه الحقيقي المعروف كجزء من البدن ، أو المقصود به في

(24)

هذه الآية الكناية عن تعظيم وجود الله تعالى الموجود في كل الوجود، فيكون المعنى أنّ الله موجود في كل جهة، وحيثما كنتم.

إنّ أبرز مظاهر التأويل وضوابطه تتركّز في ردّ المتشابه إلى المحكَم، فهناك آيات كثيرة تحدّثت عن عالم الغيب، فاستعملت كلمة الوجه واليد والعرش والميزان والغضب والسخرية والحب والمكر والكرسي... الخ، ونسبتها إلى الله سبحانه. غير أن هذه الألفاظ جاءت بلغة المجاز، وحين يراد فهم

---

(50) الأعراف : 53 .
(51) الراغب الأصفهاني / معجم مفردات ألفاظ القرآن .
(52) ، (4) الطوسي / تفسير مجمع البيان / المقدّمة .
(53) يقصد قوله تعالى : (فأمّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأوِيلَهُ إلاّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبّنا) .
(54) السيّد محمّد باقر الحكيم / علوم القرآن / ص 230 .
(55) البقرة : 115 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

دلالتها، يجب أن تفهم على أنها استعمالات مجازية، كما أن وصف الله سبحانه بالعلم والسمع والإرادة والحياة والبصر والإدراك، هي أوصاف حقيقية لله تعالى، غير أن معناها وحقيقتها تختلف عن حقيقتها ومعناها الحسي المألوف في عالم المخلوقات، فعلم الله وسمعه وكلامه وإرادته وحياته وغضبه وحبّه ... الخ ، تختلف عمّا هي عند الإنسان وغيره من المخلوقات المتصفة بتلك الصفات.

وتتّضح تلك الفوارق بقوله تعالى: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير)** . وهي من باب ردّ المتشابه إلى المحكم، كما تنضبط بالأدلة العقلية على الوحدانية، وإثبات التنزيه له عن المثل والشريك والشبيه والضدّ... الخ، وبذا ساهم علم التأويل مساهمة فعّالة في حفظ عقيدة التوحيد من التجسيم.

وقد ثبّت القرآن الكريم المرتكزات الأساسية للتأويل في آيات عديدة، منها قوله :

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فأمّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ا بْتِغاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأوِيلَهُ إلاّ اللهَ والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبّنا وَمَا يذَّكَّرُ إلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ * رَبَّنا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إنَّكَ أَنْتَ الوَهّاب)[56].

(وَلَقَدْ جِئْناهُم بِكِتَاب فَصَّلْناهُ عَلى عِلْم هُدَىً وَرَحْمَةً لِقَوْم يُؤْمِنُون * هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأوِيلَهُ يَوْمَ يَأتِي تَأوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبّنا بِالحَقّ)[57].

ودراسة مواقع التأويل في القرآن الكريم، توضّح لنا أن التأويل الذي هو بيان المعنى الخارجي للشيء هو غير التفسير الباطني للقرآن الكريم الذي دسّته الفرق الباطنية المنحرفة، فإن التفسير الباطني للقرآن الكريم، ليس تأويلا علميّاً، بل هو تحميل لآراء الإتجاه الباطني على القرآن الكريم،وهو ما نهى القرآن عنه،ووصفه بقوله: **(... فَأمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأوِيلِهِ...)**[58].

كما وفي الإتجاه المعاكس ، نجد الإتجاه الظاهري الذي ذهب مذهب التجسيم مصداقاً لهذه الآية أيضاً ، فكلا الإتجاهين اتّبع المتشابه ، ولكن بطريقته الخاصّة المعبّرة عن رأيه ، ولو اتبع التأويل بمعناه العلمي ، لما أُلقي على كاهل الآية تلك التفسيرات والتصوّرات البعيدة عن مراد الله تعالى من كتابه الكريم.

(25)

وممّا تجدر الإشارة إليه ، هو التمييز بين الإتجاه الباطني ، وبين ما ورد في أحاديث صحيحة من أن للقرآن باطناً وظاهراً، جاء في قول الإمام علي (عليه السلام) في وصف القرآن :

«... وهو الفصل ليس بالهزل ، وله ظهر وبطن ، فظاهره حكم ، وباطنه علم ، ظاهره أنيق ، وباطنه عميق...»[59].

---

(56) آل عمران : 7 و 8 .
(57) الأعراف : 52 و 53 .
(58) آل عمران : 7 .
(59) الكليني / الأصول من الكافي / ج 2 / ص 564 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فإنّ الباطن المقصود في تلك الأحاديث ليس ما ذهبت اليه المذاهب الباطنية التي فسّرت القرآن على هواها، ومعتقداتها الضالة، من الغلو والتحريف، بل المقصود بها هو ما جاء في الحديث المروي عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) :

«آيات القرآن خزائن ، فكلّما فُتِحَت خزينة ينبغي لك أن تنظر فيها»[60].

والذي يوضِّحه قول الإمام علي(عليه السلام): «...وبحر لاينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون»[61].

ففي القرآن عمق ومحتوى لا يبلغه جيل ولا مُفسِّر ، لذلك وصفه الإمام علي (عليه السلام) بأن باطنه علم ، وباطنه عميق ، وكلّما تقدّمت علوم الإنسان ومعارفه وقدراته العلمية والعقلية وأوضاعه الإجتماعية، استطاع أن يستظهر من القرآن مايوحي به مخزونه المنطبق على مستجد الموضوعات، أو الموضّح بالأدلّة العلمية التي يتوصّل اليها الإنسان، فهو سابق للعقل والعصور ، لأ نّه مُنتهى الحقيقة العلمية، فهو كالضوء الذي يلوح للناظر من بعيد ، فكلّما اقترب منه ، اتضح له بصورة أفضل، كما يتّضح له ما حول النور ممّا لم يكن قادراً على إبصاره من بعيد.

وبهذا العلم ـ علم التأويل ـ أسّس العلماء أداة علمية لضبط الفهم القرآني، وحماية العقل المسلم من الإنحراف، والعبث بالقرآن، والتلاعب بمعانيه .

2) السنّة المطهّرة :

والمصدر الثاني من مصادر المعرفة لدى العقل المسلم ، هو السنّة المطهّرة .

وعُرِّفت السنّة بأنها : «كل ما صدر عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ([62]) من قول أوفعل أو تقرير»[63]. والسنّة في حقيقتها، هي بيان للقرآن، وتفصيل لمجمله .

والقرآن ينصّ على أنّ ما بلّغه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ونطق به يجب الالتزام به ، حسب عناوينه ، من إباحة وحرمة ووجوب . **(وَمَا آتاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)**[64]، وأنّ ما يصدر عن الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من فعل وتقرير في المجال الشخصي أو الأسري أو الاجتماعي أو

التعبُّدي ، يكشف عن عدم الحرمة ، فإن كان عبادة ، ولم يدل دليل على وجوبها، فهي مستحبّة، وإن كان غير عبادة فهو يحتمل الاباحة والوجوب.

والإنسان حرّ في دائرة المباح ; إن شاء فعل ، وإن شاء ترك .

وقد بيّن القرآن الكريم قيمة السنّة النبوية ، كما أوردنا آنفاً ، بأ نّها متأتّية من أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يتلقّى عن الله تعالى: **(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)**[65]، وأنّ ذاته البشرية تتصف بالعصمة ، فهو الإنسان الكامل ، وأنّ مصدر هذا الكمال هو العلم

---

(60) السيّد الخوئي / البيان .
(61) نهج البلاغة / خطبة : 198 .
(62) اعتبرت مدرسة الشيعة الإمامية ما صدر من أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) سنّة ، لأ نّها امتداد للسنّة النبويّة .
(63) محمّد تقي الحكيم / الأصول العامّة للفقه المقارن / ص 122 .
(64) الحشر : 7 .
(65) النجم : 3 - 5 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واللّطف الإلهيين، لذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قدوة للبشرية: (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**)[66]، والإنسان الذي يتوفّر له العلم بالشيء ، والقدرة الارادية على الالتزام يعصم نفسه من الوقوع في الخطأ . والعصمة بدرجات منها متوفرة في الإنسان العادي. فالذي عرف ضرر الخمر والممارسات الجنسية الشاذة، مثلا، لا يقارفها طول حياته، فإنّما يوصف بأ نّه عصم نفسه من ممارسة هذين السلوكين.

والرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بما أُوتي من تعليم إلهي : (**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**) . وتكوين عقلي ونفسي وإرادي وغريزي بأرقى ما يمكن أن يحصل للبشر من كمال واستقامة ، توفّرت له عناصر العصمة في ذاته .

وتتقرّب صورة العصمة إلى أذهاننا إذا عرفنا أن الأبحاث الطبّيّة ، والطبّ النفسي ، قد أثبتت إنّ معظم الانحرافات السلوكية مصدرها فقدان التوازن في تكوين الفرد النفسي والعصبي والعقلي، وانّ لإفرازات الغدد الصماء المضطربة تأثيراً بالغاً على انحراف الشخصية. وكلّما كانت هذه الإفرازات متوازنة في الشخصية، كان السلوك صحّيّاً، كما أن سلامة البنية العصبية والعقلية ينتج عنها الاستقامة السلوكية إذا ما تصرّف الإنسان بعلم وإرادة، وتوفّر تلك العناصر في شخصية الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشكلها البشري الكامل ، هي درجة من درجات اللّطف الإلهي.

ونستطيع أن نفهم معنى العصمة من تعريف الأئمة والعلماء لها.

عرّفها الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: «المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارِم الله»[67].

وعُرِّفت العصمة بأ نّها : «لطف خفيّ يفعله الله تعالى بالمكلّف بحيث لا يكون له داع إلى ترك الطّاعة ، وارتكاب المعصية ، مع قدرته على ذلك»[68] .

ومن المشاكل الكبرى التي واجهها الفكر الإسلامي،هي مشكلة العبث بالسنّة النبوية،وهي مشكلة الدسّ والوضع والكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة أهل البيت(عليهم السلام)من بعده،فامتلأت كتب الحديث والرواية بالموضوعات والمدسوسات.

(27)

ويشهد المسلمون من مختلف المذاهب بهذه الحقيقة; لذا أسّس العلماء، علم الحديث والرجال، لغربلة الرواية وتنقيحها،ورغم هذا الجهد العلمي والتحقيقي،وفرز الموضوع والمكذوب في كتب الرواية ـ السنّية والشيعية ـ،فما زال في كتب الحديث من الخرافات والأباطيل الموضوعة التي يعتمدها البعض،ويروّج لها،بل ويفسِّر القرآن بهذه الروايات الضعيفة والساقطة علمياً.والموضوعية العلمية التي يحملها العقل المسلم هي التي فرضت تأسيس علم الحديث والرجال،وتنقيح الحديث من المدسوس والمكذوب،بل وتصنيف الحديث إلى مستويات بعضها أرق من بعض في الوثاقة.يقدّم الأوثق على الأقل درجة عند التعارض بينهما،غير أن علم الرجال والحديث لم يسلما من التأثيرات القَبْلية.والخلاف في الرأي والمبنى;كالخلاف في وثاقة هذا الراوي،وعدم وثاقته،وقبول هذا المستوى من الرواية وعدم قبوله،كقبول المراسيل الثّقاة،ووثاقة مشايخ الإجازة وعدمه،وكالإختلاف في تحديد مفهوم عدالة الراوي... إلخ.

---

(66) الأحزاب : 21 .
(67) المجلسي / بحار الأنوار / ج 25 / ص 194 .
(68) المقداد السيوري / شرح الباب الحادي عشر للعلّامة الحلّي / ص 37 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ضوابط منهجيّة :

ثبّت العلماء أُسساً وضوابط لصحّة الرواية وقبولها ; منها ما يتعلّق (بالسّند) ، ومنها ما يتعلّق (بالمتن). فما يتعلّق بالسّند اشترط العلماء وثاقة الراوي بعد فحص شخصيته ودراستها من خلال علم الرجال، قبل الأخذ عنه، وتصديق روايته.

أمّا ما يتعلّق بالمتن فقد ثبّتوا الأُسس الآتية :

1 - عدم معارضة الرواية للقرآن.

2 - عدم معارضتها للسنّة القطعيّة.

3 - عدم معارضتها للعقل.

وبهذه الجهود والضوابط العلمية حصّن العقلُ المسلم الفكر الإسلامي من الإنحراف والخرافة والتحجّر; لذا يجب تنزيه السنّة ممّا نُسِبَ اليها من خرافات وأباطيل تخالف الكتاب والعقل والسنّة المقطوع بصدورها عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم).

وكما واجهت السنّة مشكلة الإثبات،واجهت أيضاً مشكلة الفهم والتحليل والاستنباط منها. فكان منهج علم أُصول الفقه،هو المنهج العلمي لدراسة وتحليل السنّة،القول والفعل التقرير،كما هو المنهج العلمي لدراسة وفهم النصّ القرآني.وبذا درس العقل المسلم السنّة دراسة علمية منهجية،وفق أُسس وضوابط لغوية وعقلية وعُرفية وشرعية.

وهكذا كان علم الرجال وعلم الحديث وعلم أُصول الفقه هي العلوم التي تصدّت دراسة السيرة من حيث الإثبات والفهم والتحليل والإستنباط .

3) العقل :

والمصدر الثالث من مصادر المعرفة الإسلامية هو العقل .

ويُعتبر العقل المصدر الأساس في إثبات العقيدة والمعارف الإلهية ، وفهم النصّ والإستنباط منه، لذا قسّم علماء الإسلام العلوم الإسلامية إلى المعقول والمنقول.

تحدّث الشريف المرتضى عن دور العقل في العلوم الإلهية ، فقال :

«إنّ الطريق إلى معرفة الله هو العقل ، ولا يجوز أن يكون السمع ; لأنّ السمع لا يكون دليلا على الشيء إلاّ بعد معرفة الله وحكمته ، وأ نّه لايفعل القبيح، ولايصدِّق الكذّابين، فكيف يدلّ السمع على المعرفة»[69].

كما اعُتبر العقل أساساً من أُسس استنباط الأحكام الشرعية ; لذا عُرِّف بأ نّه : «كلّ قضية عقلية يتوصّل بها إلى العلم الفعلي بالحكم الشرعي»[70].

(69) رسائل الشريف المرتضى / المجموعة الأولى / المسألة التاسعة / ص 127 .

(70) الشيخ محمّد رضا المظفّر / أُصول الفقه / ج 3 / ص 125 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الموقف من التراث

وبعد هذه الجولة الفكرية القصيرة في رحاب العقل المسلم والفكر الإسلامي، يتضح لنا كيف تشكل العقل المسلم، كما تتضح لنا عناصر البُنية الأساسية للفكر الإسلامي، ويتّضح لنا من خلال ذلك أن التراث الديني هو جهود دارت حول النصّ (الكتاب والسنّة) وهي جهود مختلفة بين العلمية والخرافة والعبث المقصود، والقصور العلمي; لذا فهو يحتاج إلى إعادة قراءة، وغربلة وتنقيح، وفرز ما هو إسلامي يستحق أن يُطلق عليه هذا الوصف ، ممّا هو غريب على الإسلام ، ومشوّه لنقائه ، أو قاصر عن التعبير عن روحه ومقاصده. والدراسة العلمية للتراث تضع أمامنا الحقائق الآتية :

1 - إنّ مطلق الصحّة متحقّق في الأصل وحده ، وهو : (الكتاب والسنّة) .. ولا يعتبر من السنّة إلاّ ما ثبتت صحّته وفق منهج الإثبات العلمي الذي اعتبر التواتر هو الأداة الوحيدة للإثبات القطعي، أو ما كان موافقاً للقرآن والعقل في غير المتواتر، بعد الوثوق بصدوره، لذا ما أنتجه العقل المسلم لا يكتسب صفة المطلق الصحة بكلّ ما جاء فيه .

2 - إنّ التراث عُرّض لحالات دسّ وتخريب مُتعمّد، وهذا التخريب لا تصحّ نسبته إلى الإسلام ويجب فرزه والغاؤه.

3 - إنّ هناك جهوداً علمية بذلها العلماء، وهي جهد اجتهادي معرض للخطأ والصواب، ولا حجّيّة في هذا العمل إلاّ ما ثبتت صحّته، أمام النقد العلمي النزيه.

4 - إنّ الصواب في المُستنبط من الكتاب والسنّة ـ في بعض الأحيان ـ ليس هو منتهى دلالة النصّ الشرعي، بل يمثل درجة وعي المستنبط ، ولم يزل هناك العمق الأكثر ملائمة لظروف العصر الذي يتعامل مع النصّ ، فمَثَلُ ما استنبط من صواب مَثَلُ بعض العلاجات الطبية، فهي وإن كانت صحيحة، وقامت بالعلاج الفعلي إلاّ أن علماء الطب والأدوية، استطاعوا باستمرار اكتشاف علاجات أرقى. ويعكس هذه الحقيقة قول الامام عليّ بن الحسين السجّاد (عليه السلام) : «آيات القرآن خزائن ، فكلّما فُتحت خزينة ينبغي لك أن تنظر فيها».

5 - إنّ هناك منهجاً علمياً للبحث والتفكير الإسلامي والتعامل مع النصّ الشرعي، وهو علم أُصول الفقه، وهذا العلم وإن كانت مسائله خاضعة للنقد والمناقشة العلمية باستمرار لدى العلماء، ويحمل آراء ونظريات متفاوته، إلاّ أ نّه الأداة العلمية لفهم النصّ، وفق رؤية إسلامية.

كما أنّ هناك منهج إثبات السنّة وتصنيفها، ويمثِّله علم الحديث والرجال كما أوضحنا.

عناصر الجهاز المعرفي

لقد تعاملت الأبحاث والدراسات العلمية والمعرفيّة مع النصّ الشرعي والمعرفي على يد علماء الإسلام الأوائل فأورثت تلك الأجيال جهوداً علمية شامخة، كما أورثت جهازاً معرفياً متكاملا قادراً على تحقيق السمة العلمية، وعلى العطاء والإبداع والإنتاج المعرفي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن المفيد أن نعرِّف بعناصر الجهاز المعرفي الذي استطاع أن يكوِّن المعرفة الإسلامية، ويحقق لها الهوية المبدئية، ويمدها بالقدرة على استيعاب ما أنتجته الشعوب الأُخرى بالشكل الذي لا يتعارض مع الهوية الإسلامية.

إنّ عناصر هذا الجهاز المعرفي هي :

1 ـ المنهج ، **2 ـ** المصطلح ، **3 ـ** المسلّمات .

1 ـ المنهج :

إنّ دراسة وتحليل الأعمال العلمية التي أنتجها المسلمون في مجال المعارف ، والوقوف على مسارهم المنهجي ، وتثبيتهم الأُسس التي اعتمدوها في عملهم العلمي ، وتصريحهم بها . إن دراسة كلّ تلك الأعمال الفكرية تكشف لنا عن منهج علمي متقن ومتناسق، قادر على التعامل مع القضايا التي تراد دراستها تعاملا علمياً منظّماً، يسير على أُسس منطقية وموضوعية، فقد أسّس علماء الإسلام مناهج علمية، بشكل يصح معها القول أن لدى علماء الإسلام علماً يُسمّى (علم المناهج). فقد أسّس المسلمون منهجاً لكلّ علم ينظم دراساته وأبحاثه.

ودراسات علماء الإسلام وأبحاثهم المنهجية ونقدهم للمناهج الأُخرى انتهى إلى وضع المنهج العلمي القائم على أساس الإستقراء والاحتمال والقياس والنقد والبرهان، ووضعوا الدراسات والتفاصيل العلمية الدقيقة لتطبيق هذا المنهج، والاستفادة منه، فكان لهم منهج في الفقه والاستنباط، وهو منهج أُصول الفقه، ولهم منهجهم في فهم العقيدة احتواه علم الكلام على شكل مبادئ وأُسس . ولهم منهجهم في فهم وتفسير القرآن، تجسّد تطبيقه في علمي التفسير والتأويل، ولهم منهجهم في الدراسات التأريخية والسنّة النبويّة، ولهم منهجهم في دراسات علم الاخلاق والنفس والمجتمع. فلم تكن دراساتهم عشوائية، أو قائمة على الارتجال والغموض الفكري، بل يجدها الباحث والمحلِّل المنهجي بنية علمية منظمة، يتحكّم المنهج في مساراتها من الأُسس والمقدّمات إلى النتائج والمعطيات.

وعلى الرغم ممّا دخل في هذه المنهجية من أخطاء،أو تلاعب من البعض، فإنّها هي الضابط العلمي لسير الأبحاث والدراسات، والوصول إلى النتائج العلمية المرجوّة من البحث.

بل اكتشف المسلمون المنهج العلمي التجريبي في مجال الأبحاث الطبيعية والحياتية، فكانوا روّاد هذا المنهج، الذي أوصلهم إلى إكتشاف حقائق علمية في مجال الفيزياء والطب والفلك والكيمياء والنبات وغيرها.

وقد سجّل أحد علماء الغرب هذه الحقيقة بقوله :

«إنّ ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس هو ما قدّموه لنا من اكتشافهم لنظريات مبتكرة غير ساكنة. إن العلم يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا.. إنّه يدين لها بوجوده. وقد كان العالم ـ كما رأينا ـ عالم ما قبل العلم. إنّ علم النجوم ورياضيات اليونان كانت عناصر أجنبية لم تجد لها مكاناً ملائماً في الثقافة اليونانية. قد أبدع اليونان المذاهب وعمّموا الأحكام. ولكن طرق البحث وجمع المعرفة الوضعية وتركيزها، ومناهج العلم الدقيقة والملاحظة المفصلة العميقة، والبحث التجريبي كانت كلّها غريبة عن المزاج اليوناني... إنّ ما ندعوه بالعلم ظهر في أوربا كنتيجة لروح جديد في البحث ولطرق جديدة في الإستقصاء ...

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

طريق التجربة والملاحظة والقياس Mesurement ، ولتطوّر الرياضيات في صورة لم يعرفها اليونان، وهذه الروح وتلك المناهج أدخلها العرب إلى العالم الأوربي»[71].

2 ـ المُصْطَلَح :

والعنصر الثاني من عناصر الجهاز المعرفي الإسلامي هو المصطلح. فقد أدرك علماء الإسلام أهمية المصطلح العلمي، وقيمته في اختزان المعلومات والتعبير عنها، وحفظ الأصالة الفكرية، فأستأثر باهتمامهم وضع المصطلحات، وتعريفها بدقة علمية وفنية فائقة، فبرعوا في هذا المجال، وامتلكوا ثروة فكرية عملاقة من المصطلحات والمعاني المختزنة فيها .

والمصطلح هو اللّفظ الذي يصطلح عليه بين أهل عرف، أو اختصاص ليدل على معنى معين عندهم، يتبادر إلى الذهن عند اطلاق ذلك اللّفظ، كمصطلح القياس والاستقراء والحادث والبَداء والتأويل والسياسة... الخ. ونجد تلك الثروة العلمية والفنية في كلّ علم من العلوم والمعارف التي اشتغل فيها المسلمون، كعلوم العقيدة والفلسفة والفقه والحديث وأُصول الفقه والتفسير وعلوم القرآن وغيرها من العلوم الإسلامية. كما وضعوا المصطلحات العلمية في مجال الأبحاث والدراسات الطبيعية والرياضية وعلوم الأحياء والفلك وغيرها ... الخ.

3 ـ المسلّمات العلميّة :

ما بين أيدينا من علوم ومعارف لا حصر لها، وما بين أيدينا من منظومة فكرية عملاقة هي من إبداع العقل الإنساني، وجهود الإنسان العلمية، وهذا المركب العلمي والمعرفي المعقّد والواسع، ينتمي إلى أُسس ومسلمات ومنطلقات أساسية، يجب أن تمتلك الصفة القطعية ليبنى عليها بناء علمياً قطعياً، ولكل علم من العلوم والمعارف مسلّماته الأُولى التي يعتمد عليها بناؤه الفكري، فهي بالنسبة له كالأساس بالنسبة إلى البناء. كما لهذه المسلّمات العلمية الخاصّة مسلّمات كلّيّة عامّة تقوم عليها. وبذا تنتظم تلك المسلّمات البُنية العلمية والمعرفيّة بأسرها .

تحدّث الفقيه والمفكّر الشهيد السيّد محمّد باقر الصّدر عن قيام البناء الفكري على أُسس

علمية مُسلّم بها فقال :

«إنّ مردّ المعارف التصديقية ، جميعها إلى معارف أساسية ضرورية لا يمكن إثبات ضرورتها بدليل أو البرهنة على صحّتها ، وإنما يشعر العقل بضرورة التسليم والإعتقاد بصحّتها، كمبدأ عدم التناقض، ومبدأ العلّيّة ، والمبادئ الرياضية الأوّلية...»[72].

وقد ثبّت علماء الإسلام المسلّمات الضرورية للعلوم البشرية بصورة عامّة،كما توصّلوا من خلال التحليل والاستنتاج إلى تثبيت مسلّمات علمية في مجال العلوم والمعارف الإسلامية، ففي كلّ علم ينطلقون من مسلّمات أساسية، كالعقيدة، والتشريع والتفسير والرواية ... إلخ .

فبالإنطلاق من تلك المسلّمات يبدأ العقل عمله العلمي، ويمارس دوره في الإكتشاف والنقد والنفي والإثبات.

---

(71) د. سامي النشّار / مناهج البحث / ص 277 .
(72) فلسفتنا / ص 141 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وباكتمال هذه العناصر الثلاثة: (المنهج والمصطلح والمسلّمات) امتلك الفكر الإسلامي جهازاً متكاملا لإنتاج المعرفة الإسلامية ، وتحقيق الإلتزام الفكري.

مناهج التعامل مع النصّ :

ومن خلال استقراء المناهج التي اتبعها الإسلاميون في التعامل مع النصّ، ومحاولة الإستفادة منه، سواء الإستفادة القائمة على قصد إيجابي مخلص، والمتمثلة في محاولة الاستكشاف العلمي الموضوعي، أو تلك التي تكمن وراءها أهداف قَبْلية، وقناعات مذهبية يُراد إسنادها بتطويع النصّ الديني (من الكتاب والسنّة) تتحدّد أمامنا المناهج الآتية :

1 ـ المنهج الظاهري:

وهو المنهج الذي تعامل مع الظاهر من دون محاولة الغور إلى العمق والتعامل الجُوّاني معه، وحمل اللفظ على ظاهره. ممّا حال دون استكشاف قصد النّاص.

من الأمثلة المعبّرة عن هذا الإتجاه تفسير قوله تعالى :

(وَإِنْ كُنْتُم مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَر أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِنَ الغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً...)[73].

فسّر المنهج الظاهري هذه الملامسة،باللّمس المادّي،في حين كان مُراد الآية هو المواقعة الجنسية، وكنّى عنها بالملامسة،وبذا حوّل هذا التفسير المرأة إلى جسم يبطل لمسه الوضوء، فحمّل هذا الإتجاه التفسيري القرآن عنى لم يقصده،فأساء إلى فهم القرآن عن المرأة الذي اعتبرها مصدر الحبّ والمودّة والإستقرار النفسي بقوله: (وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُم أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَة) [74]،بالإضافة إلى أ نّه أخطأ في اكتشاف الحكم الشرعي الذي شرّعه القرآن لهذه القضية.

في حين نجد معنى لمس المرأة واضحاً في قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما أورده كناية عن المواقعة. فقد قال ناهياً لعثمان بن مظعون، عندما علم أ نّه وجماعة معه قرّروا ترك النساء، والإنقطاع إلى العبادة ، قال له وهو مُغضَب : « ... يا عثمان لم يرسلني الله تعالى بالرّهبانية ، ولكن بعثني بالحنيفية السّهلة السّمحة، أصوم وأُصلّي وألمس أهلي، فمَن أحبّ فطرتي، فليستنّ بسنّتي، ومن سنّتي النِّكاح»[75].

2 ـ المنهج الباطني:

والمنهج الثاني من مناهج التعامل مع النصّ هو المنهج الباطني الذي عبث بمعاني القرآن وحرّفها عن قصد وتخطيط، ومثّل الغلاة هذا الاتجاه بشكل خطر وهدّام، كما مثّلته بعض الإتجاهات الباطنية المنحرفة .

---

(73) النِّساء : 43 .
(74) الرّوم : 21 .
(75) الكليني / الكافي / ج 5 / ص 494 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

3 ـ التأويل :

والمنهج الآخر من مناهج التعامل مع النصّ هو منهج التأويل، وقد سبق الحديث عنه باختصار فليراجع.

4 ـ منهج الإمرار والتوقُّف :

وهو المنهج الذي صادر دور العقل والتأمّل في النصّ ، والإستفادة منه عن طريق التأويل أو التدبّر ، أو تفسير الآية بآية آخرى موضِّحة لها. بل ألزم نفسه بنظرية التوقّف، وعدم القول بما تقوله الظاهرية، أو اللجوء إلى التأويل، وقال أصحاب هذا الإتجاه : نستقبل النصّ دون محاولة القول فيه عندما يحتمل أكثر من رأي، بل نتوقّف عن إبداء أي رأي تفسيري، ونمرُّه كما ورد ، فقول الله عزّ وجلّ: **(الرَّحْمنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوى)** نتوقّف في تفسيره، فلا نفسِّر الاستواء بمعناه المادِّي، كما ذهب الظاهريون المجسِّمون، ولا نؤوِّله، كما أوّله أصحاب مذهب التأويل بأ نّه الاستيلاء على الملك والسلطان وهيمنته المتساوية من الأشياء جميعها . بل نمرُّه، كما هو .

5 ـ منهج الظّهور :

وهو النهج الذي قسّم إفادات الدليل إلى ثلاثة أقسام كما مرّ علينا ، وهي : النصّ والظاهر والمجمل . فذهب إلى القول بحجّيّة الظهور ، وهو ينطلق في نظريته تلك من أن النصّ الديني (القرآن والسنّة) هما نصّ عربي مبين، والنّاص إنما أراد إفهام المخاطَبين بمراده من خلال كلامه، وفق أُصول الخطاب العرفي المألوف بين الناس جميعاً ، فهو لم يخرج على تلك الأُصول والقواعد في المخاطَبة وإرادة التفهيم ; لذا فإنّ ما يُستفاد من ظاهر الكلام حجّة يجب الأخذ بها ، أمّا المجمل أو المتشابه من الكلام فينبغي أن يُفهم على أساس التأويل والقرائن الموضّحة . لا سيما الرّجوع إلى المحكمات والمفصّلات.

6 ـ المنهج العقلي:

وهو المنهج الذي آمن بدور العقل في فهم النصّ ، والإكتشاف منه ضمن ضوابط فهم ومنهج علمي يعتمد على دلالات القرآن نفسه ، محتجّين بآيات عديدة من القرآن ، كقوله تعالى : **(أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوب أَقْفَالُها)**[76]، وهو غير المنهج الفلسفي الذي يتعامل مع النصّ من مسلّمات فلسفية .

ويتكامل هذا المنهج مع المنهج الذي سبقه في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) . وقد دافع الشيخ الطوسي في مقدّمة تفسيره التبيان دفاعاً حارّاً عن هذا المنهج ، ننقل بعضاً من قوله الوارد في هذا المجال، قال :

«وقد مدح الله أقواماً على إستخراج معاني القرآن فقال: **(لَعَلِمَهُ الَّذينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُم)** [77]، وقال في قوم يذمّهم حيث لم يتدبّروا القرآن، ولم يتفكّروا في معانيه: **(أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوب أَقْفَالُها)**».

(76) محمّد : 24 .
(77) النِّساء : 83 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

7 ـ المنهج النحوي:

ينتهي علم النحو في أهدافه إلى أ نّه علم بيان المعنى، يقوم على أساس التحليل البنيوي لمعنى التراكيب اللفظية بتحديد النسبة بين المفردات والتراكيب، والعلاقة بينها، كالعلاقة بين المبتدأ والخبر، والفاعل، والحال... الخ. وهكذا يقوم هذا العلم بتحليل البنية اللفظية لتحليل العلاقة بين المعنى والمعنى الآخر. وبالتالي يتوصّل التحليل النحوي إلى استخراج إرادة المتكلِّم عن طريق معرفة موقع كلّ معنى وعلاقته بالمعنى الآخر .

واعتمد النحويون المنهج النحوي لتحليل المعاني القرآنية، ومعرفة دلالة الألفاظ من تحديد موقعها الإعرابي. منطلقين من أن الإعراب في حقيقته تابع للمعنى.

قال الرمّاني : «وهذا يبصرك أن الاعراب لا يستقيم إلاّ بعد فهم المعنى حتّى يجري على حقه، والوجه الذي هو له»[78].

مثال ذلك ما أورده الطبرسي في تفسير قوله تعالى عن الزّجّاج : **(وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى الكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنا القُرُونَ الأُولى بَصَائِرَ لِلْنّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلّهُم يَتَذَكَّرُون)**[79] .

قال الطبرسي : «الإعراب : قال الزجّاج قوله : (بصائر) حال أي آتيناه الكتاب مبيّناً، وأقول: فيه أ نّه بدل من الكتاب، فإن المعرفة يجوز أن تبدّل منها النكرة، والبصائر في معنى الحجج، فلا يصح معنى الحال فيها، إذا كان إسماً محضاً لا شائبة فيه للفعل...»[80].

ومن الواضح أن (البَدَل) يختلف معناه عن (الحال) : فالبدل عُرِّف بأ نّه الاسم الذي يصحّ أن يحلّ محلّ المبدل منه ، كقولك : اقتديت بالمصطفى محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)

فيمكنك أن تحذف كلمة (محمّد) أو (المصطفى) ويبقى المعنى من غير تغيير ، فالمصطفى هو محمّد ، ومحمّد هو المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) .

بينما عُرِّف الحال بأ نّه يأتي لبيان ما هو مُبهم من الهَيْآت. ويضيف الطبرسي وصفاً دقيقاً آخر للحال يختلف به عن البدل. «والحال إسم يخالطه معنى فعلياً، فمتى ما خلا من شائبة الفعل لا يصحّ أن يكون حالا» .

وهكذا يقع الخلاف في فهم المعنى بسبب الفهم الإعرابي.

ومن هذا المثال نفهم أيضاً المنهج النحوي في فهم النصّ الذي انتهجه النحويون أمثال الزجاج وغيره.

النّص والإجتهاد

النصّ :

ترد كلمة النصّ في مصطلح الفقهاء وعلماء أُصول الفقه، ولها معنيان، عدا المعنى اللغوي.

فهي في اللغة تعني : «... النّصُّ رفْعك الشيء. نَصَّ الحديث ينصُّه نصّاً، رفعه، وكل ما أُظهر فقد نُصَّ. قال الأزهري: النصّ، أصله منتهى الأشياء، ومبلغ منتهاها، ومنه قيل: نَصصت الرَّجُل، إذا

(78) د. مازن المبارك / الرمّاني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه / ص250.
(79) القصص : 43 .
(80) مجمع البيان في تفسير القرآن : تفسير سورة القصص آية 43 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

استقصيت مسألته عن الشيء، حتى تستخرج كل ما عنده ... وفي حديث هرقل: ينصُّهم، أي يستخرج رأيهم ويظهره، ومنه قول الفقهاء: نَصُّ القرآن، ونَصُّ السُّنَّة، أي ما دلَّ ظاهر لفظها عليه من الأحكام...»[81].

وإذا كان هذا هو المعنى اللغوي للنصّ، وهو الرفع والإبراز والإظهار وبلوغ المنتهى من المراد ، فانّ له معنيين إصطلاحيين عرّفهما علماء الفقه والأُصول، فالنص في أحد معنييه الإصطلاحيين، هو ما نطق به الوحي من قرآن ، أو ما نطق به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من قول[82] . وهو ما يعادل كلمة (المتن) في مصطلح علماء الحديث، المستعمل في مجال السنّة فقط .

عرّف الفقيه الشهير الشهيد الثاني (المتوفّى 965 هـ) ، عرّف المتن بقوله : «المتن لفظ الحديث الدّال على المعنى»[83].

وللنصّ معنى اصطلاحياً آخر، سيتضح لنا من تقسيم الأُصوليين لقدرة الدليل اللّفظي على إفادة المعنى.

فالدلالة، حسب تقسيمهم، تقسم من حيث إفادتها للمعنى الى ثلاثة أقسام، هي:

1 - النصّ : «وهو الدليل اللفظي الدال على حكم دلالة واضحة، توجب اليقين أو الإطمئنان، فهو حسب نظام اللغة، وأساليب التعبير، لا يحمل سوى إفادة ذلك المدلول»[84].

(35)

2 - المجمل : «وهو الدليل اللفظي الدال على أحد أمرين، أو أُمور على نحو تكون صلاحيته لإفادة أي واحد منها مكافئة لإفادة غيره، بحسب نظام اللغة وأساليب التعبير العرفي. وهذا هو المجمل»[85].

3 - الظّاهر : وقد يدل الدليل الشرعي على أحد أمرين، مع أولوية دلالته على أحدهما ، بنحو ينسبق الى الذهن ... وهذا هو الدليل الظاهر»**(4)** .

ودراسة النصّ بمعناه الأعم : (النص بالمعنى الأخصّ والمجمل والظاهر)، هي من أهم مباحث علم أُصول الفقه، وأدوات الكشف عن الدلالة .

وقد اهتم المفسرون، وعلماء أُصول الفقه، والفقهاء، بدراسة اللفظ والجملة والسياق، دراسة علمية تحليلية، للكشف عن الدلالة، أو مراد المتكلم (كتاباً وسنّةً).

وإذا عرفنا حقيقة النصّ بمعناه العام، وأنه البنية اللفظية المُبرزة لتمام المعنى المراد للنّاص. فان تلقي الدلالة من هذا النصّ، يحصل على ثلاث مستويات ـ كما مرّ في تعريف الشهيد الصّدر ـ فمستوى منه قادر على إبراز المعنى بوضوح كامل، وبشكل يوفر اليقين للمتلقي بأن هذا هو مراد المتكلِّم، ولا يحتمل مراداً آخر أبداً، كقوله تعالى: **(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد)**، **(وَلاَيَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً)**[86]، **(وَأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا)**[87] ، **(قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ)**[88] ، **(إنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُم المِيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الخِنْزِير)**[89]، **(وَلَكُم نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُم إنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَد)**[90] .

---

(81) ابن منظور / لسان العرب .
(82) ويعتبر الشيعة الإمامية ما ورد عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من أقوال استمراراً للنص النبويّ .
(83) الدراية / ص 4 .
(84) الشهيد الصدر / دروس في علم الأُصول / الحلقة الثانية / ص 209 .
(85) و (4) المصدر السابق / ص 210 .
(86) الكهف : 49 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومثل هذا النصّ اللفظي يبرز المعنى بشكل واضح وقطعي، ولا مجال فيه لتعدد الفهم، أو الإجتهاد ; لذا ثُبّتت القاعدة العلمية القائلة : «لا اجتهاد مع النصّ» .

وهكذا فإن الأحكام والمفاهيم العقيدية والفكرية التي يحملها (النصّ) غير قابلة للإجتهاد ، وهي من القضايا الثابتة التي لا تغيير فيها ، ولا إيقاف لتلك الأحكام النصّية إلاّ لضرورات تضطر الإنسان إلى تجاوز تلك الأحكام ، غير أنّ هذا التجاوز يزول بزوال الدواعي ، وهو جواز قد نصّ عليه نصّ لا اجتهاد فيه، وهو قوله تعالى : **(فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ)**[91].

أمّا ما ورد مجملا، أو احتمل أحد المعنيين، مع انسباق أحدهما إلى الذهن، وفق قوانين اللغة والعرف، مع امكان أن يكون المعنى الآخر هو المراد.

فإنّ هذين الواردين ، أو النصّين بمعناهما العام قابلان للإجتهاد ، واستفادة المعاني العديدة.

(36)

وقد قسم العلماء مستوى مراد المتكلم، أو الفاعل، من كلامه إلى : (المجمل) و(المبيّن)، وعرّفوا المجمل: «ما جهل فيه مراد المتكلِّم ومقصوده، إذا كان لفظاً، وما جهل فيه مراد الفاعل ومقصوده، إذا كان فعلا **(**[92]**)**»[93].

وعرّفوا المبين بقولهم : «ما كان له ظاهر يدل على مقصود قائله أو فاعله، على وجه الظن، أو اليقين، فالمبيّن يشمل الظاهر، والنصّ معاً»[94] .

ومن الوقوف على هذه الدراسة التحليلية للنصّ الشرعي بمعناه العام، يتبيّن لنا أن اكتشاف المعنى من اللّفظ المفرد أو الجملة والسياق، وفق قوانين اللغة والعُرْف المساعد على الفهم عملية قابلة للإختلاف، وتعدّد الفهم، وهذا ما يعزّز علمياً ، الفصل بين ما هو إلهي، وما هو بشري، وتبرئة المراد الإلهي من خطأ الفهم البشري، وبذا فإن النقد والمحاكمة، هي للفهم، وليست للنّص ، فالنّص الإلهي (الكتاب والسنّة) منزه عن الخطأ.

وذلك يعني أن مساحة واسعة من الكتاب والسنّة مفتوحة الأفق للفهم وتطوراته وفق منهج علمي للفهم والإستنباط .

الإجتهاد :

تعريف الإجتهاد :

---

(87) البقرة : 275 .
(88) الأعراف : 29 .
(89) البقرة : 173 .
(90) النِّساء : 12 .
(91) البقرة : 173 .
(92) وإن قيل أنّ المجمل اصطلاحاً مختصّ بالألفاظ ، ومن باب التسامح يطلق على الفعل / محمّد رضا المظفّر / أصول الفقه / ج 1 / ص 195.
(93) الفقيه الراحل الشيخ محمّد رضا المظفّر / أصول الفقه / ج 1 / ص 195 .
(94) نفس المصدر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وإذا وضح لنا النّصّ بمعناه اللغوي والاصطلاحي الخاص ، وأنه في معناه الأصولي ، الكلام الدال على معنى محدد واضح ، لا يحتمل غيره ، فهو إذن معنى محدّد ، لا مجال للإجتهاد وتعدّد الرأي فيه ، ذلك لأنّ الإجتهاد ، هو بذل الجهد العلمي لاستنباط الحكم الشرعي، فيما فيه مجال للإجتهاد.

ونتائج الإجتهاد، كما ستتضح لنا، هي نتائج ظنية ; لذا فهي قابلة للنقد والتغيير باجتهاد علمي آخر، بعكس النصّ، كما وضح لنا آنفاً.

عُرّف الإجتهاد بأنه: «بذل الجهد في استخراج الأحكام الشرعية، وبهذا الإعتبار يكون استخراج الأحكام من أدلة الشرع اجتهاداً»[95].

وعُرّف أيضاً : «الإجتهاد في اللغة : تحمّل المشقّة ، واصطلاحاً ، كما عن الحاجبي والعلاّمة ، استفراغ الوسع في تحصيل الظن بالحكم الشرعي»[96].

وعرّفه الآمدي الشافعي بقوله: «وأمّا - الإجتهاد - في اصطلاح الأُصوليين فمخصوص باستفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد فيه ...»[97].

(37)

وبعد أن تطوّر الإجتهاد ونظّر، أصبح له منهجه العلمي الخاص به، وهو علم أُصول الفقه. فقد تكفّل هذا العلم ببحث الأدوات الإجتهادية، ومنهج الإجتهاد، وتحمل مسؤولية تنظيم التفكير الإستنباطي لضبط هذه العملية من الزيغ، أو الخروج من الموضوعية العلمية الى الذاتية، فهو إذن علم الأدلّة والدلالة .

ويعتمد المجتهد والمفكِّر في ممارسة عمله الإستنباطي من النصّ الشرعي (الكتاب والسنّة)، على علوم ومبادئ أساسية هي :

1 - اللّغة ، **2** - العُرْف ، **3** - علم الحديث ، **4** - علم أُصول الفقه ، **5** - العقل.

أمّا مصادر الإجتهاد، فهي الكتاب والسنّة، وأمّا ما استحدثه بعض الفقهاء من مصادر، من القياس والإستحسان وعمل الصحابي أو المصالح المرسلة، فهو مورد نقاش علمي بين أولئك الفقهاء أنفسهم، فضلا عما بينهم وبين أئمة وفقهاء الشيعة الإمامية من حوار ونقاش علمي.

ولا بد لنا من أن نشير هنا الى أن العقل، كدليل للتشريع في مدرسة أهل السنّة، لا يعني أنه مصدر مساو للكتاب والسنّة، فهو ليس مشرّعاً، ولا مؤسِّساً للأحكام، بل هو كاشف عن الحكم.

لذا عرّف العقل بمعناه الأُصولي بأنه: «كل قضية يدركها العقل، ويمكن أن يستنبط منها حكم شرعي»[98].

ويفيد الشهيد الصدر في مقدّمة رسالته الفقهية (الفتاوى الواضحة)، بأ نّه لا توجد هناك مسألة ليس لها دليل في الكتاب والسنّة ، فيلجأ الى العقل لالتماس حكمها، وأنه - الصدر - استنبط ما في رسالته من أحكام اجتهادية من الكتاب والسنّة فقط .

---

(95) المحقق الحلِّي / معارج الأُصول / ص 179 .
(96) الآخوند الخراساني / كفاية الأُصول / ص 528 .
(97) الإحكام في أُصول الأحكام / ص 168 .
(98) الشهيد الصدر / دروس في علم أُصول الفقه / الحلقة الثانية / ص 229.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والبحث يدعونا الى أن نوضِّح أن ما يحتاجه الفرد والمجتمع والأُسرة والدولة من الأحكام والقوانين الشرعية، على امتداد العصور، هو مستوعب في إطار الرسالة الإسلامية، وهي مجموع التشريعات المبيّنة والمنظمة للعبادات والحياة المدنية والإجتماعية، كقوانين الأُسرة والميراث والتجارة والشركات والأرض والعقوبات والسلوك الشخصي والعلاقات الدولية ... الخ ، وجاء استيعابها بشكل أساس، كالآتي :

1 - ما جاء حكماً صريحاً ، كحرمة الخمر ، والرّبا ، والإحتكار ، والزّنا، والظلم، والغيبة، وتسليط غير المسلمين على المسلمين، ووجوب الصلاة، والزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ووجوب الدفاع عن عقيدة المسلمين وأوطانهم ومصالحهم، وإباحة الملكية الخاصة والتجارة بصورة عامة، واستحباب الزينة والجمال والرياضة البدنية، وبطلان العقود من غير رضا طرفي العقد، أو اكراههم على ذلك.

2 - ما جاء من الأحكام بشكل غير صريح، ولكنه مستوعب في عموم النصّ الشرعي أو اطلاقه، كتحريم المخدرات لدخولها في عموم تحريم المسكر، أو لدخولها في تحريم الضرر والضرار... الخ ، وتشكل تلك الأحكام مساحات واسعة من الحياة البشرية المستجدة.

3- ما لم يرد فيه صريح،ولا هو متضمن في نصّ شرعي،أي لم يرد فيه بيان شرعي،فهذه المساحة تعني أن لا إلزام بالحُرمة أو الوجوب،وهي البراءة من التكليف الشرعي.

وهكذا يتحدّد معنى القاعدة الشرعية القائلة: «ما من واقعة إلاّ ولله فيها حكم».

فما من قضية يواجهها الإنسان في حياته الفردية أو الإجتماعية، وفي شتى المجالات، إلاّ وحدَّدت الشريعة الإسلامية الموقف منها.

وقد ساهم الإجتهاد مساهمة فعالة في تنمية الفقه الإسلامي، ومدِّ آفاقه الى شتّى المجالات، وتحديد الموقف الشرعي من القضايا والمسائل المستجدّة في عالم الإنسان على مرِّ العصور والأجيال باستنباط الأحكام من الأُصول الدالّة عليها. وذلك دليل حيوية الشريعة الإسلامية ، وخلودها ، وقدرتها على قيادة الإنسان ، وتنظيم حياته الإجتماعية وتطويرها بشكل متواصل .

من ذلك نفهم قيمة الإجتهاد، وأنه عمل علمي يُمارس ضمن ضوابط ومناهج وأُصول علمية، كما نفهم سعة النصّ الشرعي، وقدرته على استيعاب الحياة البشرية على امتداد عصورها، شريطة أن يمارس الإجتهاد بعقل علمي، بعيد عن التأثر بظروف المستنبط الشخصية، والبيئية، وأن يكون التعامل مع النصّ علمياً وموضوعياً، كما يتعامل أي باحث في مجال الطب والفيزياء والأحياء.

المرجع في التعامل مع التراث :

التراث الإسلامي هذا الكم العملاق من الفكر والمعرفة التي ورثناها عن الأجيال الماضية، والذي يقدر بمئات الآلاف من الكتب والمؤلفات المنتشرة في مختلف مكتبات العالم الإسلامي وغيره، وفيه من الكنوز والعطاء العلمي، والجهد المنهجي، ما يدعو إلى الإكبار والإعجاب، والتبجيل.

إنّ أولئك العلماء قد بلغوا مرحلة عُليا من العمق والمنهجية والبرمجة العلمية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهذا التراث قد اختلط به كمّ هائل أيضاً من الأساطير والخرافات العثرات والإنحرافات التي أفرزها العقل المتخلِّف أو المنحرف ، أو القصور العلمي ، أو محاولات الهدم والتخريب المتعمّد. وكلّ ذلك يحتاج إلى تنقية وتنقيح ، وتخليص ما هو علمي يمثِّل الفكر الإسلامي ممّا دخل عليه واختلط به، ليبرز الوجه الناصع لتلك الجهود العلمية الرائدة ، وليكون أساساً من أُسس الثقافة والمعرفة ، ومنهج حياة للجيل الحاضر . وأن عملية الفرز هذه تواجه مشكلتين أساسين هما :

1 ـ مشكلة تحديد المرجع والضّوابط التي يتم على أساسها غربلة التراث وتنقيته ، واثبات الصحيح منه .

2 ـ مشكلة العقليات التي تدافع عن كلّ موروث ، سواء أكان فعلا اجتماعياً يمارسه المجتمع ، أو فكرياً تحويه بطون الكتب والمكتبات ، بغض النظر عن خطأه، بل ويصطنع البعض الاعذار وحجج الدفاع للابقاء عليه. وهذا الموقف العقلي والنفسي هو ذاته قد تشكل من خلال افرازات ذلك التراث الذي يحتاج إلى اصلاح واعادة نظر ، ولذا فإنّ جزءاً من تصحيح التراث هو تصحيح العقل المتوقف عن قبول النقد العلمي ، والتغيير البنّاء .

ولعلّنا نستطيع أن نحدِّد أهم المراجع ذات الحجية المشروعة في إعادة فهم التراث أو تثبيت الصحيح منه لاتفاق الجميع عليها، ولشمولها مساحة واسعة من الفاعلية أو الضوابط الموصلة إلى ذلك. وبنية الفكر الإسلامي ومصادره ومسلماته هي التي تحدد لنا المرجعية والضوابط التي يحتكم إليها في عملية المراجعة، وإعادة القراءة لغرض التنقيح والتصحيح. وهذه الأضواء تهدينا إلى الآتي :

1 ـ النصّ من (القرآن والسنّة) :

وهو ما لا يحتمل أكثر من معنى واحد، فهو أحد المراجع الأساسية في فهم التراث، كما أ نّه المرجع في فهم السنّه النبويّة والمتشابه من آي القرآن. ثبّت القرآن مرجعية النصّ القرآني المحكم بقوله :

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِه([99])...)[100].

نضرب لذلك مثلا: كثر الجدل والخلاف في مسألة مشروعية الحاكم الجائر والمنحرف والموقف منه ، فذهب البعض إلى طاعة الحاكم مهما كان ظالماً، فلا تسقط بيعته، ولا يفقد مشروعيته، ولا يجوز العمل على إسقاطه، وبقيت هذه الآراء الفقهية أساساً لنظرية سياسية يتمسك بها الحاكمون المستفيدون منها، والدائرون في أفلاكهم. وينطلق هذا الرأي الفقهي من مبررات أقنعت أصحابها بصحة هذا الموقف . غير أننا بالعودة إلى القرآن نكتشف خطأ هذه النظرية، ونتوصّل إلى التحرّر منها .

فالقرآن ينادي: **(إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُم أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلى أَهْلِها وَإذا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ...)**[101]، وينادي : **(وَلاَ تَرْكَنُوا إلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُم النَّار ...)**[102].

---

(99) ابتغاء تأويله بما يوافق أهواءهم .
(100) آل عمران : 7 .
(101) النِّساء : 58 .
(102) هود : 113 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويثبت في خطابه للنبي إبراهيم (عليه السلام): (... **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**)[103].

ويخاطب داود (عليه السلام) بقوله: (**يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى**)[104].

وهكذا وبالإحتكام إلى القرآن، نفهم أن نظرية التسليم بمشروعية الحاكم الجائر فرضتها ظروف السلطة، وسياسة الأمر الواقع، التي رفضها القرآن .

(40)

2 ـ عقيدة التوحيد والتنزيه :

والمرجع الثاني والمقياس الذي يقاس به صحة التراث، هو مدى تطابقه مع عقيدة التوحيد والتنزيه القائمة على أُسس الإثبات العقلي، وعلى أساس قرآني محكم أيضاً ،

كقوله تعالى: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير**)[105]، (**وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدَاً**)[106] ، فإنّ هاتين العقيدتين هما أساس راسخ للردّ على نظريات التجسيم والتشبيه والجبر مثلا .

وهكذا تسلك عقيدة التوحيد مقياساً للخطأ والصواب فيما ينتج من فكر وثقافة تُنْسَب إلى الإسلام ، فما وافق التوحيد والتنزيه فهو صواب ، وما خالفهما فهو باطل لا يعتدّ به .

3 ـ المسلّمات العقلية والعلمية :

لدى العقل البشري بصورة عامّة مسلّمات عقلية يتسالَم عليها العقلاء بما هم عقلاء، كما أن هناك مسلّمات إسلامية تسالَم عليها المسلمون بما هم مسلمون ، فتلك المسلّمات تسلك أساساً للرجوع إليها في فهم التراث الإجتماعي أو الفكري وتصحيحه.

4 ـ أُصول الإثبات العلمي :

ومن المراجع والضوابط التي يحتكم إليها في تقويم التراث، هي أُصول الإثبات العلمي في العلوم جميعها، كالسيرة والحديث وعلم الرجال والفقه والتأريخ والفلسفة والتفسير وعلم الكلام وغيرها . فلكلّ علم ومعرفة أُصول ومبادئ وضوابط يعتمدها العلماء في البرهنة والإثبات وتحصيل المعرفة. يمكن الرجوع إليها لمناقشة ما توصّل إليه الباحثون، فمثلا هناك أُصول لقبول الحديث والرواية، وتقويم رجال الحديث، وإثبات وقائع التأريخ تسلك أساساً لدراسة وتقويم ذلك الإنتاج. فمتى ما وجدنا نتائج البحث لا تتّفق مع أصوله العلمية التي يجب أن توفِّر لنا الدليل العلمي على خطأ ذلك الإنتاج. وتلك الأُصول بدورها تُقيَّم على أُسس المسلّمات العلمية المتسالَم عليها في الشرع أو العقل أو اللغة أو الحس أو العُرْف . ومع كلّ تلك الضوابط والمعايير التي توصلنا إلى تصحيح الكثير ممّا علق بالتراث تبقى

---

(103) البقرة : 124 .
(104) سورة ص : 26 .
(105) الشّورى : 11 .
(106) الكهف : 49 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مشكلة تنقيح الإنتاج الفكري، التراثي منه والمعاصر ، مسألة نسبية ، إلاّ أ نّها تكون خاضعة لجهاز ضبط ومراقبة علمية ، مع وجود الضوابط والمراجع ، والنقد العلمي البناء الذي يعمل وبدرجة عالية على حفظ البنية الفكرية من محاولات التخريب الثقافي، ومشكلة الركود، وسلطة التقديس الأجوف .

التّراث والسِّياسة

السلطة السياسية هي القوّة الأساسية التي تتولّى بناء المجتمع والنظام، وطريقة الحياة ونمطها. ويزداد دور السلطة والسياسة في حياة المجتمع عندما يكون نظام المجتمع قائماً على
أساس فكري وعقيدي محوري ، وأنّ تلك العقيدة تشترط في السلطة والدولة أن تكونا قائمتين

على ذلك الأساس الفكري، ومعبرتين عنه، وحاملتين له.

والمجتمع الإسلامي مجتمع عقيدي يؤمن بالاسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة ; والسياسة ونظرية السلطة والدولة جزء من الرسالة الإسلامية .

فالرسالة الإسلامية ، كما جاءت بتوحيد الله وعبادته، قامت ببناء شخصية الفرد وسلوكه الفردي والإجتماعي، قامت بتنظيم المجتمع، وبناء الدولة على أساس الإسلام، ومثّل هذا الجانب من الفكر الإسلامي نظام الإمامة والخلافة وولايه الأمر، كما وردت في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة .

وكان الرسول الكريم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المؤسِّس للدولة والسلطة على أساس الأحكام والقيم القرآنية الخالدة .

وحدّد القرآن الكريم نظرية الحكم وأُسسها العامّة ، بأنها تقوم على أساس الحق ، والعدل ، وإعمار الأرض ، وتنمية الحياة وتطويرها ، واحترام إرادة الإنسان وعقله، وتقرير وحدة النوع الانساني وحقوقه الانسانية، وعدم التفريق بسبب الطبقة الاجتماعية أو العنصر أو اللّون ; وتقرير وحدة النوع الانساني وتعميم حق المشاركة في الحياة السياسية للجميع ـ رجالا ونساءً ـ ، بل اعتبره واجباً كفائياً ، كما اعتبر مبدأ الشورى مبدأً أساسياً في إدارة شؤون السلطة والسياسة، وبذا استأصل جذور الاستبداد والتسلّط .

وقد ثبّت القرآن تلك المبادئ السامية بنصّه :

(إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُم أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)[107].

(إِنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ)[108].

(بِالْحَقِّ أَ نْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَل)[109] .

(هُوَ أَ نْشَأكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُم فِيها)[110].

(يَا أَ يُّها النَّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَر وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم)[111].

---

(107) النِّساء : 58 .
(108) النحل : 90 .
(109) الإسراء : 105 .
(110) هود : 61 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُم فِي البَرِّ والبَحْرِ وَفَضَّلْنَاهُم عَلَى كَثِيرٍ مِمَّن خَلَقْنا تَفْضِيلا)[112].

(وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُم أَوْلِياءُ بَعْض يَأمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَر)[113].

(42)

(وَأَمْرُهُم شُورَى بَيْنَهُم)[114] .

(وَشَاوِرْهُم فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّل عَلَى الله)[115].

(أَطِيعُوا اللهَ وَأَطَيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم)[116].

(تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً)[117].

(وَعَدَ اللهُ ا لَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم)[118].

(قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَيَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِين)[119].

(وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُم النَّار)[120].

وبهذه المبادئ الدستورية، وأمثالها كثير، حدّد القرآن المرتكزات الأساسية لنظام الحكم والسياسة في الإسلام، فالسلطة في الإسلام أداة لهداية الإنسان واصلاح شؤونه، ولإقامة الحق والعدل والإعمار في الأرض .

والذي حدث في المجتمع الإسلامي أن السلطة والدولة والإمامة والسياسة كانت من أهم عناصر الخلاف والصراع، كما تحولت بيد حكام إلى أداة قهر وتسلط واستئثار، واستغلال لمطامع الدنيا ومتع الحياة.

والدارس لتأريخ السلطة والسياسة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يشهد ملحمة الصراع على السلطة وحالات الانحراف المروّعة ، كما تشهد ثورات التحرّر والإنعتاق من جور الحكّام الطّغاة، كثورة الإمام الحسين ابن علي (عليهما السلام) (61 هـ) في كربلاء ، وثورة المدينة (63 هـ) ، وثورة زيد (121 هـ) ، وثورة فخ (169 هـ)، وغيرها من الثورات .

سجّل المؤرّخ الشهير اليعقوبي في كتابه أسوأ فصل سياسي في تأريخ الأُمّة مثله يزيد بن معاوية في قتله الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)واستباحته للمدينة المنوّرة واستعباده للأُمّة بقوله :

«... فلم يبق معها كثير أحد إلاّ قُتِل ، وأباح حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، حتّى ولدت الأبكار، لا يُعرَفُ مَن ولدهن ، ثم أخذ الناس أن يبايعوا على أ نّهم عبيد ليزيد بن معاوية»[121].

---

(111) الحجرات : 13 .
(112) الإسراء : 70 .
(113) التوبة : 71 .
(114) الشّورى : 38 .
(115) آل عمران : 159 .
(116) النّساء : 59 .
(117) القصص : 83 .
(118) النّور : 55 .
(119) البقرة : 124 .
(120) هود : 113 .
(121) تاريخ اليعقوبي / ج 2 / ص 250 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومع كلّ ذلك فقد وجد هذا الحكم من يرى شرعيته ممّن سخّرهم من منتحلي العلم .

لقد نفّذت السلطات سياستها على امتداد تأريخ الأُمّة عن طريق التدخل في عمل العلماء والمفكّرين والأدباء، وتوجيهه الوجهة المؤيدة لسياسة الأمر الواقع.

فالتأريخ، وهو الوثيقة الشاهدة على أوضاع تلك المراحل ، قد كُتِبَ تحت إشراف السلطة ورقابتها، فجاء تأريخاً رسمياً يُعبّر عن وجهة نظر السلطة، ويروي مآثرها، ويخفي الجرائم والمآسي والمخالفات التي ترتكبها، رغم ما دوّنه بعض المنصفين من حقائق ووقائع خارجة على رقابة السلطة .

والسيرة والسنّة النبويّة ، قد خضعتا لتدخّل السلطة لعلاقتهما بالسياسة ، وبرجالاتها الحاكمين ، فقد شهدت وثائق التأريخ أن الأمويين عملوا على منع أية رواية عن الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تشهد لعليّ بن أبي طالب وآله (عليهم السلام) بالفضل ، كما عملوا على التعتيم على دوره في مرحلة الدعوة، وعمّموا سبّه وشتمه على منابرهم، حتى جاء عمر بن عبدالعزيز إلى السلطة عام (99 هـ) ، فرفع السبّ عن عليّ (عليه السلام).

وهكذا خضع التأريخ، وهو سجل الحوادث والوقائع، والمرآة التي تعكس أوضاع تلك المراحل، للتدخّل السلطوي، فكُفّ عن أداء الشهادة، والتعبير عن الحقيقة فتحول إلى تأريخ حكام وسلطات بدلا من تأريخ أُمّة، بكل ما فيها من تجسيد للحياة .

ولم ينج الفقه عن الحالة الرسمية ، فقد كُتِبَ ونُظِّرت بعض مباحثه ، وأُصدرت فتاواه المرتبطة بالحكم والسياسة بالشكل الذي يتلائم وسياسة الأمر الواقع، إلى الدرجة التي رأينا بعض فقهاء المرحلة يبرر للحكام استئثارهم بالمال والسلطة ، ويوجب طاعة الحاكم ولزوم بيعته ، وإن كان ظالماً جائراً ، يمارس أبشع جرائم القتل وسفك الدماء ، ونهب أموال الأُمّة ، والعبث بها في حالات المجون والسّمر ، والزجّ بالمعارضين في السجون ، وتسليط السيف والإرهاب على رقابهم.

وفي الأدب والشعر نقرأ الاحتكار السياسي، والمدح والثناء على الحكّام المتسلّطين، كما نقرأ الشهادة بما كانت تعجّ به قصور الخلافة الأموية والعباسية وكثير ممّا تلاها، من اللّهو والعربدة والمجون والفساد.

ولعلّ تدخّل السلطات في شؤون العقيدة والمذهب كان من أوضح حالات التدخّل .

وكم سفك الحكّام من دماء المعارضين ، وحملوا الناس على قبول المذاهب العقيدية والفقهية التي آمنوا بها ، أو تبنّي فقهاء معيّنين ، واضطهاد آخرين، وفرض آرائهم وفهمهم للاسلام والمذاهب العقيدية والفقهية.

ومن الأمثلة على ذلك ما شهده التأريخ من صراع مذهبي عِبْرَ مراحل الأمويين والعبّاسيين والبويهيين والفاطميين والأيوبيين والعثمانيين والصفويين وغيرهم.

روى أبو الحسن علي بن محمّد المدائني في كتابه (الأحداث) ، قال :

«كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة : أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب ، وأهل بيته ، فقامت الخطباء في ذاكورة، وعلى كلّ منبر ، يلعنون عليّاً ، ويقعون فيه ، وفي أهل بيته ، وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة ما فيها من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

شيعة عليّ ... ثمّ كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان : أُنظروا مَن قامت عليه البيّنة أ نّه يحبّ عليّاً وأهل بيته فامحوه من الديوان، واقطعوا عطاءه ورزقه ، وشفّع ذلك بنسخة أخرى : مَن اتهمتموه بموالاة هؤلاء يقوم فنكّلوا به واهدموا داره ...»[122].

وقد قاومت السلطات الأموية والعباسية النهج الفكري والسياسي الذي دعا إليه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) معبّرين به عن روح الإسلام ومنهج الشريعة، فاضطُهِدوا جميعاً وعُرِّضوا للقتل والسجن والمطاردة، فقد قتل يزيد بن معاوية الإمام الحسين بن عليّ (عليه السلام) ، وسجن هارون الرشيد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) حتّى استُشْهِد في السجن ، كما اضطهد المتوكِّل العباسي الإمام عليّ الهادي (عليه السلام) وبالغ في محاربته.

ومن الأمثلة على اضطهاد المعارضين الفكريين، وممارستها الإرهاب ما سجّلته بعض وثائق التأريخ، نذكر منها :

«...فلذلك صارت دولة الموحِّدين بالمغرب، تستبيح دماء مَن خالف عقيدة ابن تومرت ، إذ هو عندهم الإمام المهدي المعصوم ، فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لا يحصيها إلاّ سبحانه وتعالى ، كما هو معروف في كتب التأريخ ، فكان هذا هو السبب في استشهار مذهب الأشعري وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نُسِيَ غيره من المذاهب وجُهِل...»[123].

والذي يعنينا من هذا الاستعراض الموجز هو أن ما بين أيدينا من تراث في العقيدة والفكر السياسي والفقه والسنّة والسيرة والتأريخ والتفسير والتصوّف والفلسفة والإشراق والممارسات وغيرها ، قد تركت السلطات أثرها فيه بشكل واضح ; لذا فان عمليات تنقيح التراث تفرض فرز وتشخيص هذا الأثر السلطوي ، ونقده وتخليص التراث منه ، ليكون التعامل مع المبادئ بنقائها ، لا مع عمليات تطويع المبادئ من خلال إرادة الحكّام التي تحوّلت إلى اجتهادات ونظريات في السياسة والفقه والعقيدة والثقافة العامّة للأمّة من جهة ، ولتبرأة الإسلام من تلك الإفرازات الغريبة على روحه ومقاصده من جهة أخرى .

ويتحدّد الموقف من التراث بالآتي :

1 - إنّ الموقف من التراث تحدِّده أُصول ومنهجية ومسلّمات إسلامية أصيلة ومتحرِّرة من فرضيات لا تكتسب حد العلمية، وبالتالي رفض النظرية القائلة باعادة قراءة التراث بمنهج غريب عن روح المبادئ والأُصول والمسلّمات الإسلامية.

2 - رفض النظرية المنادية بإلغاء التراث، أو التشكيك بقيمته، مادّة ومنهجاً، كإفراز للعقل المسلم في مرحلة مضت وانقضت، وبالتالي الفصل بين ماضي الأُمّة وحاضرها.

3 - لا يصحّ تقبّل النظرية المدافعة عن كل ما هو تراث ، حتّى الخرافة والبدع ، أو عمّا يحمل التراث من إفرازات لا تمثِّل روح المبادئ والأُصول الإسلامية.

4 - تبرئة الرسالة الإسلامية من عمليات الخلط بين الإسلام كنصّ إلهي ، وبين ما أفرزه العقل المتعامِل مع هذا النصّ من شطحات ، وانحرافات وخرافات، وتحميلات على روح النصّ .

(122) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة / ج11 / 44 و 45 .
(123) المقريزي/ الحفظ / ج 2 / ص 358 و 359 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

5 - الفرز بين أنشطة العقل المسلم، الملتزم بالأُصول الإسلامية ، وبين العقل الذي تشكّل في المجتمع الإسلامي ، وفق أُصول ومنهجية غير إسلامية، أو هجينة الهوية، والتمييز بين تلك الإفرازات من حيث الإنتماء والتمثيل. فلا يمثل العقل المسلم، ولا الفكر الإسلامي الاّ العقل الذي مارس نشاطه ، وتعامله مع النصّ الثابت الانتساب ، وفق آلية إسلامية .

6 - إنّ إعادة قراءة التراث وتنقيته، وفق منهجية نقدية موضوعية، واستخلاص رؤى ومواقف وحقائق ونظريات إسلامية متّسقة مع الواقع العلمي وروح النصّ الإلهي في كثير من القضايا المختلف عليها، مسألة حيوية للفكر الإسلامي المعاصر، فإنّ بين أيدينا كمّاً هائلا يمثِّل تيّارات ومذاهب فكرية ورؤى واجتهادات حتّى في صفوف الفرقة الواحدة ، والمذهب الواحد والمدرسة الفكرية الواحدة، وبالشكل الذي يصعب فيه أن نجد ممثِّلا للموقف الإسلامي، أو المذهبي في تلك القضية .

7 - لابدّ من مواصلة عملية الإجتهاد والإستنباط والتعامل العلمي المعطاء مع النصّ والتراث المستفاد منه بروح العصر، وعدم التوقّف على رأي مستفاد من النصّ ، أو مُؤسّس على اجتهاد ونظرية استدلّ عليها صاحبها، لاسيما وأن النهضة الفكرية المعاصرة قد فتحت آفاقاً جديدة أمام الفكر الإسلامي، وطرحت أمامه قضايا ومسائل كان عليه استيعابها ، ضمن آليات العقل المسلم الأصيل، بعيداً عن الازدواجية والهجانة.

8 - لا بدّ من إعادة كتابة التأريخ بعد تحقيقه، ومقارنة وثائقه ومصادره ، واستخلاص الصحيح منه، فإن تعذّر إثبات الصحيح ، فالتعريف المقارن بروايات التأريخ في تلك الواقعة أمانة علمية يجب أداؤها.

9 - إنّ ما دُسّ من مرويات في السيرة والسنّة (إنّ السيرة والسنّة ليستا تراثاً، وإنما هما نصّ وفعل نبوي يمثِّلان بيان النصّ الإلهي). إنّ هذه المدسوسات هي المصدر الكبير لإرباك الفكر الإسلامي وتشويهه، لذا فإنّ أُولى خطوات تنقيح التراث ، هي عملية تنقية المرويّات ، وتطهيرها ممّا دُسّ فيها. ويجمع علماء الإسلام من كل المذاهب على أن السنّة والسيرة قد دُسَّ فيهما، وأن الأخذ من كتب الرواية، من غير تحقيق ولاتدقيق علمي، هو أحد الأسباب الرئيسة للانحراف والتحريف، والعبث بالفكر الإسلامي.

10 - إنّ العقل المسلم يجب أن يتعامل مع الواقع، ويتعامل مع النصّ ومع التراث، لتطوير الواقع وصناعته على أساس النصّ . ويخوض التجربة الذاتية لاكتشاف الواقع المعاش، ومعالجة قضايا الإنسان الكبرى، كقضية الحرية والسلطة وحقوق الإنسان والجنس والمرأة والأخلاق والفن والأدب وقيم الجمال والعقل ومنهج التفكير والعلاقة بالعالم البشري في آفاق الأرض، وبانجازات العلم وتقنياته المعاصرة، لينظر الواقع، ويتعامل معه من خلال مسلّماته الإسلامية المستوعبة ، لا من خلال معالجات التراث لقضايا عصره الممتدّة إلى قرون عديدة .

11 - التعامل مع التراث بوعي وموضوعية، بعيداً عن التعصّب والإنتماء غير الواعي، المتأتّي من المألوفية والإعتياد والتلقّي السّلفي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

12 - لقد ساهم العقل البشري بمختلف اتجاهاته ومذاهبه الفكرية لدى الأمم والشعوب عبر أجيال عديدة في تكوين المعرفة الإنسانية على امتداد العصور والتفاعل مع هذا التراث والاستفادة منه وفق الضوابط العلمية السليمة موقف ساهم في عملية الإغناء الفكري والتفاعل بين التجارب والعقول البشرية البنّاءة .

لذا فإنّ الإنفتاح الثقافي الملتزم مسألة تعبّر عن الروح العلمية ، والعقلية الموضوعية الإيجابية الباحثة عن المعرفة السليمة ، بغضّ النظر عن مصادرها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

This file was downloaded from QuranicThought.com